مجلة شهرية

نور المسيح يسوع المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: 79 Issue No:
آذار 2014 March

جمعية نور المسيح، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

السجود للصليب الكريم المحيي

اليك ندلج يا مخلص العالم مسبحين اياك لأننا وجدنا سلامة في
صليبك الذي به جدّدت جنس البَشر واقتدتنا الى النور الذي لا يغرب

محتويات العدد

نهار العمر يميل	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث	3
الحضور الى الكنيسة	4
كيف ينبغي الإعتراف للقديس نيقوديموس	5
عمل الرحمة غريغوريوس النيسي	6
فها منذ الآن تطوبني جميع الأجيال	10
تمجيد البتولية القديس أثناسيوس	11
لا تدينوا لكي لا تدانوا	11
تعزية التلاميذ من خلال آلام المسيح الطوعية	12
الصليب والمصلوب	14
الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور	15
قوّة التوبة للقديس يوحنا الذهبي الفم	16
العهد القديم (٦٣)	17
الإفخارستيّا - ق. كيرللس	18
العناية الإلهيّة للقديس يوحنا الذهبي الفم	20
سلسلة المحبة - قصة واقعية	21
العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي	23

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الهي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

سمع شاب صوت اللّه يدعوه للتوبة، فأجَّلَ قبول الدعوة إلى حين قضاء الاسبوع في اللهو والعبث ، وفي نهايته يذهب إلى الكنيسة مقدّماً نفسه للّه.

وفي نهاية الأسبوع وهو اليوم الأخير حيث كان في ملهى خليع، وإذا بحريقٍ يشبّ في الملهى ويكون هو أحد ضحاياه.

هذا الشّاب أَجَّلَ توبته فتأجّلت إلى الأبد .. لا تفتخر بالغد لأنّك لا تعلم ما يلده الغد.

لا تظن أنّك ما دمت في الصحة والشباب أنّك في مأمن من ميلان النهار.

إحترس يا أخي إنّ **النهار يميل** في لحظة ليست في الحسبان.

سأل أحدهم أحد الآباء عن أنسب وقت للتوبة فقيل له:

(تُب قبل وفاتك بيوم واحد)

فقال: إنّ يوم وفاتي غير معلوم.

أجابه الأب: إذن تُب الآن. الآن وقتٌ مقبول واليوم يوم خلاص.

إنّ الساعة التي نحنُ فيها أنسب وقت للتوبة، وكلّما مرّ علينا الوقت مؤجّلين للتوبة، كُلَّما أظلَم الذهن ، وتَقَسّى القَلب، وَقَلَّ الأمل في إمكانية الرجوع إلى اللّه.

حاوَلَ أحد الرعاة أن يُقنع أحد الشباب بالتوبة، فأخَذَ يُؤجِّل توبته من حين لآخر ، ولما حضرته الوفاة. رفَضَ التسليم بإمكانية توبته وخلاص نفسه وهو يقول:

(مضى الحصاد، إنتهى الصيف ونحن لم نخلص) ولفَظَ الأنفاس الأخيرة...

الكثير من الناس حينما مالَ نهار حياتهم ، ومضَى قطار عمرهم وعبرت سفينة حياتهم ووجدوا أنفسهم فجأة أمام الموت، أصابهم الذعر والفزع.

أما أولاد اللّه فإنّهم يستقبلون الموت ببشاشة وترحاب.

ماذا يُخيفني ؟ .. الموت! لا .. لأنّه ليسَ بمُرعِبٍ لي .. به نصِلُ إلى الميناء الأمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ويقول الشاعر منبهّاً

مضى أمسُكَ الماضي شهيداً مُعَذَّلاً
وأعقَبَهُ يومٌ عليكَ جديدُ
فَيَومُكَ إن أغْنَيْتَهُ عادَ نفعه
عليكَ وماضي الأمسِ ليسَ يعودُ
فإنْ كنتَ بالأمسِ اقْتَرَفْتَ إساءةً
فثنِّ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ
ولا تُرجِ فِعْلَ الخيرِ يوماً إلى غَدٍ
لَعَلَّ غَداً يأتي وأنتَ فَقيدُ

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة دخول ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الى الهيكل

«لَقَدْ غَطّتْ فَضيلتُكَ السّماوات أَيُّها المسيحُ: فَإنّكَ بَرزَتْ من تابوت قُدْسكَ الأم المنزّهةُ عَن الفَساد. فَشوهدْتَ في هيكَل مَجْدكَ طفلاً مَحْمولاً في الأحضان. وامتلأَ الكلُّ من تسبحَتكَ» (صلاة السَحر: كطافاسية ٤ ـ الأرمس – القديس قزماس مايوما).

أيُّها الأخوةُ الأحباء. أَيُّها المؤمنون، والزوّار الحسنيّو العبادة .

أنّ كنيسةَ المسيح المقدّسة ما انفكّتْ تُعلنُ للعالم أجمعَ شهادتَها الأصيلةَ بسرِّ تجسّد وتأنّس كلمة اللّه، الأمرُ الذي حدا بنا لننضويَ سويّةً في هذا المكان التاريخيّ والمقدس ، محتفلين ببهجة وحبور بعيد دخول ربِّنا يسوعَ المسيح إلى الهيكل ، وَحَمْله على ذراعيِّ الشيخ سمعانَ الصدّيق ، كما يقولُ المرنّمُ: « لقد هَتَفَ سمعانُ يقولُ: ها إنَّ هَذا هو الذي يكونُ الهدفَ للمخالفة. وهو إلهٌ وطفلٌ معاً. فَلْنُرَنِّمَنَّ لَهُ عن إيمان هاتفين: باركوا الربَّ يا جميعَ اعماله وارفعوهُ إلى كلِّ الدهُّور».

إنَّ للإنجيليّ لوقا شهادةً دامغةً إذْ يقولُ: «كانَ سمعانُ رَجُلاً تقيّاً ينتظرُ تَعزيةَ إسرائيلَ ، والروحُ القدسُ كانَ عليه وكان قَدْ أُوْحيَ إليه بالرّوحِ القدس أنّه لا يرى الموتَ قَبْل أن يرَى مسيحَ الربِّ » (لو٢: ٢٥–٢٦). فتحقَّقَ هذا الأمرُ باعتراف البارِّ سمعانَ عنْدما عاينَ المخلّصَ في الهيكل ، واحتضانَه لَهُ كما ذَكَرَ المرنِّمُ : «فشوهدْتَ في هَيْكَل مَجْدكَ طفلاً محمولاً في الأحضان».

لقد بَرَزَ مسيحُ الربِّ من الأمِّ المنزّهة عن الفساد، أي من الدماء الطاهرة النقيّة لوالدة الإله الدائمة البتولية مريَم. برَزَ كطفل (في هيكل مجده) محمولاً بالأحضان ، كما يقولُ القديسُ يوحنا الدمشقيُّ: ﴿وعلى أيد بشريّة حُملَ كطفل صغير، هو «بهاءُ مجد الآب وصورةُ جوهَره»(عب١: ٣)، والذي يحفَظُ الكونَ برُمّته بكَلمَة فَمه.﴾.إشترك في هذا الحدث الروحي العظيم البارُّ سمعانُ الشيخ، الذي اعتُبرَ مثْلَ تلميذ ورسول للمسيح ، كما ذُكرَ آنفاً بفم الإنجيليّ لوقا: «كان سمعانُ رجلاً تقيّاً ينتظرُ تعزيَة إسرائيل والروح القدس كانَ عَليه وكانَ قَدْ أوحيَ إليه بالرّوحِ القدس أنّه لا يَرى الموتَ قبلَ أن يَرى مسيحَ الربّ » (لو٢: ٢٥–٢٦) .

أنَّ آباءَ الكنيسة العظامَ يُفسّرونَ معنى، (تعزيةَ إسرائيلَ) الواردةَ في الإنجيل المقدس بما يلي: «إسمُ المسيح المبارك يشملُ في ذاته الصفات الإلهيّة ، التي تضمنُ الخلاصَ للإنسان، فالمسيحُ يُعَزّي شعبَهُ ، لأنَّهُ كلمةُ اللّه المتجسّدُ القادرُ على تحرير الإنسان من رباط الخطيئة، وإعطائه حريّةَ أبناء اللّه، من خلال تعاليمه وأسراره الخلاصيّة، فهو يسكبُ وبمحبة عظيمة الرّاحةَ لكل قلب حزين، مغدقاً عليه بالفرح والرجاء والتعزيّة الإلهيّة ».

وفي شَرح معنَى، (الرّوحُ كانَ عليه)، فالقديس زيغابينوس يقول:«هذا الروحُ كان روحُ النبوّة»،الأمرُ الذي جعلَ من البّار سمعانَ الشيخ أوّلَ نبيٍّ يعلنُ جهاراً **بأنّ المسيحَ قَدْ جاءَ إلى العالم** تحقيقاً لوَعْد الروح القدس له. لذا استطاعَ بجرأة ومقدرة فريدة أن يجاهرَ بهذا الأمر رغم محدوديّة الفكر الإنساني ومدَى إستيعابه لهذا الأمر الفريد والوحيد.

إن الشيخَ سمعانَ البارَ قد ذاعَ سُمَاهُ (صفاته الحسنة) وانتشرتْ في أصقاع الأرض وكذلك حنّةُ النَّبيّةُ بنتُ فانوئيل الطاعنةُ في السنِّ (لو٢: ٣٦)، فَهُما لنا صورةٌ يُحتذى ، ومثالٌ يُقتدى، لنكونَ على نَفْس سيرة حياتهمْ الفاضلة الحميدة ، التي تَشعُّ مهابةً ووقاراً ، فقدْ تحرّرا من قيود العالم وشهواته، فجُلَّ عملهما هو تقديُم النفس باستمرار كتقدمة محرقة نقيّة نحوَ بـاريها، بصلوات وطلبات وتضرعات مستمرة لا تعرفُ الكللَ ولا الملل. فجمَعاً من الفضائل أسماها ومن الخصائل أعلاها، متذكرَيْن قولَ الحكيم سليمانَ: «أمّا البّارُ فإنّه وإنْ تَعَجَّلَهُ الموتُ يستقرُّ في الراحة، لأنّ الشيخوخة المكرّمة لا تقومُ على كَثْرَة الأيام ولا تُقاسُ بعَدَد السنين ... بَلْ هيَ الحياةُ المنزّهةُ عن العيب» (حكمة ٤: ٧–٩).

أمّا القديسُ بولسُ فيقولُ عَن الشيوخ: «..صاحين ، ذوي وقار، متعقّلين، أصحاءَ في الإيمان والمحبة والصبر ، أمّا بالنسبة للعجائز: في سيرة تليقُ بالقداسة، غَيْرَ ثالبات، غَيْرَ مستعبدات

للخمر كثيراً. معلمات الصلاحَ ... متعقلات، عفيفات، ملازمات بيوتهنّ...» (تيطس٢:٢-٥).

إن الشيخَ سمعانَ البارَّ ومن خلال انتظاره للوعد الإلهيّ بثقة راسخة (أنّه سيعاينُ مسيحَ الربّ)، أوحيَ إليه بالوقت المناسب ليستقبلَ المخلّص عنْدَ دخوله إلى هيكل سليمانَ، فهذا الحَدَثُ يُعتبرُ التَّاجَ المنيرَ لأقوال الأنبياء في العهد القديم، التي تنبّأتْ عن سرِّ التدبير الإلهيِّ بالمسيح ، أي تأنّس إلهنا كلمة اللّه ومخلصنا يسوعَ المسيح، لهذا السبب أيُّها الأحباءُ ، يكرز الرسول بولس قائلاً: «لأنّه قد ظَهَرَتْ نعمةُ اللّه المخلِّصةُ لجميع الناس، معلّمةً إيّانا أن نُنكرَ الفجورَ والشهوات العالميّة، ونعيشَ بالتعقّل والبرِّ والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرّجاءَ المباركَ وظُهورَ مجد اللّه العظيم ومخلصنا يسوعَ المسيح، الذي بذَلَ نفسَهُ لأجلنا، لكي يَفدينا من كلّ إثم ويُطَهِّرَ لنفسه شعباً خاصّاً غيوراً في أعمال حسنة» (تيطس٢:١١-١٤).

إن كنيستَنا المقدسة بالمسيح تنظرُ لهذا الحدث بكلِّ اهتمام وغيرة، فهي تعيّدُ لاستقبال ربِّنا يسوعَ المسيح على ذراعيّ الشيخ سمعانَ الصدّيق، لأنّ المسيحَ أتى لكيْ يُتَمِّمَ كلَّ برٍّ فهُوَ ينفّذُ وصايا الناموس (التي وضعها) بحذافيرها، لكي يبقى سرُّ التجسُّد بمنأى عن كُلِّ شَكٍ وَرَيْب.

لذا فالكنيسةُ المقدسةُ تؤدِّبُنا وتقوّينا من خلال الأسرار الإلهيّة المحيية، لتقودَنا إلى حياة التألّه بالنعمة ، وتزوّدنا بالخصال والفضائل الروحيّة لكي نتستقبلَ (خلاصَ اللّه) (لوقا٢:٣٠)، هذا الخلاصُ الذي قدّمَه لنا نحنُ الخطأةَ ربُّنا وإلهُنا ومخلصُنا يسوعُ المسيح الذي صُلِبَ وقُبِرَ وقام ظافراً من بين الأموات « .. الآتي "عند الدينونة الأخيرة" على سحاب السماء بقوّة ومجدٍ كثير» (متى٢٤:٣٠).

إنّ خلاصَ اللّه الذي تمتّعَ به سمعانُ الشيخُ كان بالعَيان واللمس، أمّا نحنُ المخلَّصون بالمسيح، فإنّ (خلاص اللّه) يتحقّقُ فينا بشكل عجيب فنحن نمتزجُ ونتّحدُ مع المسيح الإله من خلال سرِّ المناولة الإلهيّة (الإفخارستيّا)، إذْ نُصبحُ شركاءَ في الدم والجسد الإلهيين المقدسين.

هذا يعني أيُّها الأحباءُ، أنّ علينا أن نقبلَ التجاربَ إذا ألّمّتْ بنا ، ولا نستغربَ جرّاءَ حدوثها، فالسيّدُ المسيحُ قال: «في العالَم سيكونُ لكُم ضيقٌ، ولكن ثقوا: أَنَا قَدْ غَلَبتُ العَالَمَ» (يو١٦:٣٣)، فالشرّيرُ مازالَ يعملُ في أبناء المعصية، التي نراها تتفاقَمُ في زماننا الحاضر من خلال قُوى الإضطهاد والتدمير المخيف والمريع بأنواعه العديدة.

لا نَقفُ مذهولين من جرّاء ذلكَ ، لكن لنُنْصتَ إلى أقوال الرسول بطرسَ : «بل كما اشتركتُمْ في آلام المسيح، إفرحوا لكي تفرَحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين في مجيئه الثاني المجيد» (١بط ٤ : ١٣).

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الحضور إلى الكنيسة

للقديس فيلاريت ـ أسقف موسكو

عندما يحين الوقت المخصص للّه وللحضور إلى معبده، خاصة يوم عيد أو ساعة القداس، سارع إلى انتزاع ذاتك من الأعمال والاهتمامات الدنيوية وقدّم نفسك للّه طوعياً وبغيرة في كنيسته. وإذ تدخل الكنيسة تذكّر وعد الرب للذين يجتمعون باسمه: هناك أكون بينهم (متّى١٨:٢٠)، وقفْ بوقار في الكنيسة وكأنّك أمام وجه المسيح نفسه، وصلِّ إليه ليقدّسك بقداسته، وينشّطك بصلاته، وينيرك لكلمة الإنجيل ونعمة الأسرار. تذكّر أيضاً أنّ، في الكنيسة، تخدم الملائكة معنا وتحفظ قداسة الدار هناك.

في إحدى المرّات، في دير القديس ثيوذوسيوس قرب أورشليم، فيما كان الأب ليونديوس آتياً إلى الكنيسة لتناول الأسرار الإلهية، رأى ملاكاً واقفاً عن يمين المائدة المقدّسة، وإذ خاف واستدار ليهرب إلى قلايته، ناداه صوت الملاك: «منذ أن كرِّسَت هذه المائدة أوكل إليّ أن أحرسها».

تذكّر ذلك أيها المحبوب، وَقِفْ بورع. وإذا أحسستَ أنّ جسدك

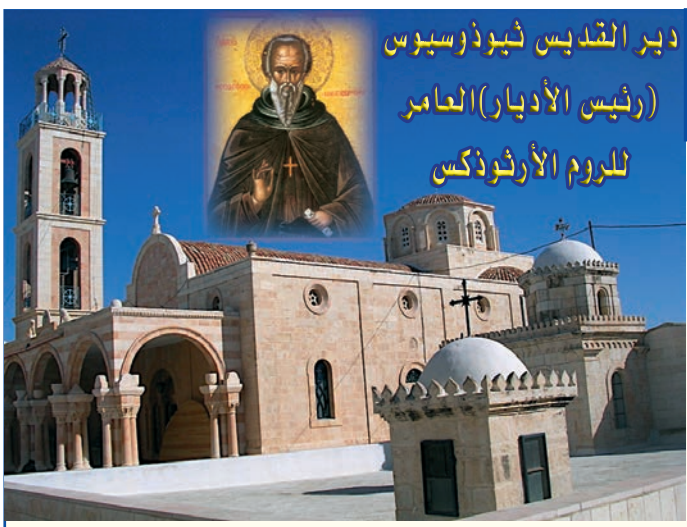

يقف وحده في الكنيسة فيما عقلك يفكّر بالبيت أو السوق أو مكان المرح، استجمع ذاتَك. أسرعْ إلى استعادة فكرك الذي شرد وضمِّه إلى اللّه في قلبك، أرغمْه على السعي نحو اللّه الذي يهتمّ بك. عندما تسمع كلمة اللّه، افتحْ لا أذنيك الجسديتين وحسْب بل الروحيتَين أيضاً، افتحْ قلبَك، تقبّل هذا الخبز السماوي وبه غذِّ لا ذاكرتك وحسب بل حياتك وعملَك أيضاً.

كيف ينبغي للانسان أن يستعد للاعتراف

القديس نيقوديموس الآثوسي

ما هي التوبة؟

أخي الخاطئ، هذا هو الاستعداد الواجب اتّباعه قبل أن تتوب وتذهب إلى الاعتراف. اعرفْ أولاً أن التوبة، بحسب القديس يوحنا الدمشقي، هي العودة من الشيطان إلى اللّه، التي تتمّ بالألم والجهاد. وهكذا أنتَ أيضاً، أيها الحبيب، إذا رغبت بأن تتوب كما يليق، عليك أن ترفض الشيطان وأعماله وتعود إلى اللّه وإلى الحياة التي تليق به. عليك أن تنبذ الخطيئة التي هي ضد الطبيعة، وتعود إلى الفضيلة التي هي بحسب الطبيعة. عليك أن تكره الشر كثيراً، حتى تقول مع داود: «أَبْغَضْتُ الإثم وَكَرِهْتُهُ» (مز:١١٨:١٦٣)، وبدلاً عن ذلك، عليك أن تحبّ الخير ووصايا الرب كثيراً حتى تقول أيضاً مع داود: «أَمَّا شَرِيعَتُكَ فَأَحْبَبْتُهَا.» (الآية نفسها)، وأيضاً: «لأَجْل ذلكَ أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ.» (مز١١٨:١٢٧). باختصار، الروح القدس يعلّمك بسيراخ الحكيم ما هي **التوبة الحقيقية** في قوله: «تُبْ إلى الرب وأقلعْ عن الخطايا، تضرَّع أمام وجهه وأقللْ من العثرات. إرجعْ إلى العلي وأعرضْ عن الظلم وأبغض القبيحة أشدّ بغض» (ابن سيراخ١٧:٢٥-٢٦).

مظاهر التوبة:

اعرفْ ثانياً أن مظاهر التوبة هي **ثلاثة**: الندم، الاعتراف، والارتياح.

الندم:

الندم هو الأسف والحزن الكامل في القلب، وهما يكونان في الشخص الذي، بسبب الخطايا التي ارتكبها، خيّب اللّه وخالف ناموسه الإلهي. هذا الندم يأتي فقط على الكاملين ومَن هم أبناء اللّه، لأنّه ينشأ فقط من محبة الله.تماماً مثلما يتوب الولد فقط لأنه خيّب أباه، وليس لأنه سوف يُحرم من الميراث أو يُطرَد من المنزل الأبوي. في هذا الخصوص، يقول الذهبي الفم الإلهي: «تأوّه بعد أن أخطأت، ليس لأنّك سوف تُعاقَب (إذ ليس العقاب شيئاً)، بل لأنك أثمتَ إلى سيدك، مَن هو كثير الكرم، وفائق اللطف، ويحبّك كثيراً وَيتوق إلى خلاصك حتى أنّه بذل ابنه من أجلك. لهذا تأوّه».

الألم:

الألم مرتبط بالندم، الذي هو أيضاً حزن وأسى غير كامل في القلب، وهو يأتي ليس لأن الإنسان خالف اللّه بخطاياه، بل لأنّ هذا الإنسان قد حُرم من النعمة الإلهية، خسر الملكوت وكسب الجحيم. هذا الألم يكون لغير الكاملين، أي للأجراء والعبيد، لأنّه لا يصدر عن محبة الله، بل عن الخوف ومحبة الذّات، تماماً مثلما يتأسّف الأجير لفقدانه أجرته ويتحسّر العبد خوفاً من تأديبات سيده. وهكذا أنتَ أيضاً، يا أخي الخاطئ، إذا أردتَ أن تكتسب هذا الندم والألم في قلبك، وبهما يكون ندمك مرضياً للّه، عليك أن تفعل ما يلي.

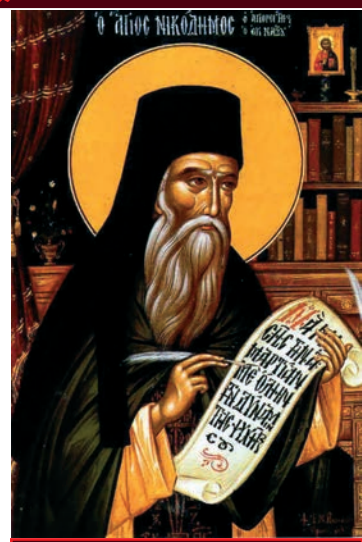

القديس نيقوديموس الآثوسي

اعترف لأب روحي مختبر أولاً، فتّش حولك واعرفْ مَن هو الأب الروحي الأكثر خبرة، لأن باسيليوس الكبير يقول، كما أن الناس لا يظهرون أمراضهم وجراحهم الجسدية لأي طبيب كان، بل للأطباء أصحاب الخبرة الذين يعرفون كيف يداوونهم، كذلك أيضاً ينبغي كشف الخطايا، ليس لأيٍّ كان، بل لأولئك القادرين على شفائها.

في الإعتراف:

في الاعتراف بالخطايا ينبغي اتّباع الطريقة نفسها كما في الكشف عن أمراض الجسد. كما أن الإنسان لا يكشف أمراض الجسد لكل الأطباء أو للمارّين صدفة، بل لأصحاب الخبرة في علاجهم، كذلك أيضاً ينبغي أن يكون الاعتراف بالخطايا أمام أولئك القادرين على معالجتها، كما هو مكتوب: «فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ» (رو١٥:١)، أي أن تحملوها باهتمامكم.

كيف يفحص الإنسان ضميره؟

تماماً كما تجلس لتَعدّ مالَك بعد صفقة ما، بالطريقة نفسها امضِ إلى مكان محدد، أيها الأخ، وقبل اسبوعين أو ثلاثة من ذهابك إلى الأبِ الروحي الذي وجدته، خاصةً عند بداية كل من فترات الصوم الأربعة في السنة، اجلسْ في ذلك المكان الهادئ، احنِ رأسَك، امتحن ضميرك، هذا ما يسمّيه فيلون اليهودي (الاسكندري): «**فحص الضمير**»، وكنْ «لا مدافعاً عن خطاياك بل قاضياً لها»، بحسب الطوباوي أوغسطين. تأمّل، مثل حزقيّا، في كل حياتك بحزن ومرارة في النفس: «مُتَمَهِّلاً كُلَّ سِنِيَّ مِن أَجْلِ مَرَارَةِ نَفْسِي.» (إشعياء٣٨:١٥).

تأمّل أيضًا كم أخطأتَ في الأعمال، والأقوال، والارتباط بالأفكار، بعد آخر اعتراف لك، عادةً الأشهر والأسابيع والأيام. تذكّرْ الأشخاص الذين أخطأتَ معهم والأماكن التي أخطأتَ فيها، وباجتهاد تأمّل في هذه الأشياء لكي تجد كلاً من خطاياك. هكذا ينصح سيراخ الحكيم قائلاً من جهة: «قبل القضاء افحص نفسك» (ابن سيراخ١٨:٢٠). ومن جهة أخرى، يقول غريغوريوس اللاهوتي: «امتحنْ نفسك أكثر من قريبك. حساب الأعمال هو أهمّ من حساب المال. لأن المال يفسد بينما الأعمال تبقى». وتماماً، كما أن الصيادين لا يكتفون بمجرّد إيجاد وحش في الغابة، بل يسعون بكل الطرق إلى قتله، كذلك يا أخي، عليك ألاّ تكتفِ بفحص ضميرك وإيجاد خطاياك وحسب، لأن هذا ينفعك قليلاً، بل جاهدْ بكل الطرق لقتل خطاياك بالحزن في قلبك، أي بالندم والألم. ولكي تكتسب الندم، افتكرْ في كمْ اعتديت على اللّه بخطاياك. لكي تكتسب أيضاً الألم، فكّرْ في كم اعتديت على نفسك بخطاياك.

عمل الرحمة

من روائع القديس غريغوريوس النيسي

«أليسَ هذا صوماً أختارَه: حَلّ قيود الشرّ. فَكّ عُقَد النير، وإطلاق المسحوقين أحراراً، وقطع كل نير. أليَسَ أن تكسر للجائع خُبزك، وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك» (إش٥٨:٦-٧)

النموّ في المعرفة الروحيّة:

إنّ قادَة هذه الكنيسة مُعلّمي الفضيلة الذين يحيون في تقوَى حقيقيّة، يشبهون إلى حَدٍّ كبير المعلّمين الذين يُعلّمون التعليم الأساسي، ويمكن تشبيههم أيضاً بالأشخاص الذين يعتنون بالأطفال الصغار الذين ليس لديهم القدرة بعد على نطق الكلمات بوضوح. وحيث أنّ الوالدين لا يتوقّعون أن تقوم المدرسة بتعليم كلّ شيء . لذلك نجدهم باستمرار يشعرون بالمسؤوليّة تجاه تنشئة أولادهم، يُعلّمونهم نقش الحروف في الشمع أولاً[١] ، ثمّ كتابة أسمائهم، ثمّ يتابعون نموّهم في المعرفة، وبعد فترة وجيزة يتقدّمون بهم إلى المقاطع الصوتية ونطق الكلمات. هكذا وبنفس الطريقة نجد أن قادة الكنيسة يُعلّمون مستمعيهم أولاً أساسيّات المعرفة ثمّ ينتقلون بعد ذلك إلى دروسٍ أكثر تقدّماً.

الصوم تعيَّن من أجل نقاوة الروح:

لقد وبّخنا منذ يومين تلك اللذة التي تتعلّق بالفم والبطن، وتحدثنا عن منفعة الامتناع عن أكل اللحم، وشرب الخمر الذي يُسبّب الضحك، والذي يؤدّي إلى الإنغماس في الملذات الحسيّة، والشهوة التي تعقب الأكل الكثير والإفراط بالشرب. لقد تكلّمت في السابق بما يكفي عن هذه الأمور، وسلوككم يؤكّد أنكم قد التقتم لمشورتي، وبما أنّكم قد احتفظتم بتعاليمي السابقة في القلب، تعالوا بنا الآن ننتقل إلى تعاليم أكثر تقدّماً.

الصوم له تأثير روحي إذ يجعل الإنسان يرفض الشرّ، فهو وسيلة يمكننا بها ضبط انجذابنا للطعام. إذن فلتَصُم عن الشرّ، وامتنع عن الشهوات الغير نافعة، ولا تطلب الربح من أيّ سلوك منحرف، واذبح جشع محبّة المال [٢]، ولا تقتني لك ثروة بالقوّة والإغتصاب.

هل تعتقد أن هناك فائدة من الامتناع عن أكل اللحم، إذا كنت تؤذي أخاك؟ نفس الشيء ينطبق على سلوكك الظالم تجاه الفقراء، ما أهميّة هذه التقوى التي تُظهرها بشرب الماء فقط إذا كنت في نفس الوقت تخطط للضرر وتشرب دم الظلم؟.

إن يهوذا صام مع الأحد عشر رسولاً، ولكنه لم يُحجم عن الجشع. وفَقَدَ خلاصَهُ بالرغم من صومه. والشيطان أيضاً لا يأكل (فالكائن الروحي لا جسد له) فَقَدَ كرامته بسبب التعدّي ـ لا أحد من الشياطين يأكل أو يشرب بإفراط ولا يُدان بسبب تعاطي شراب مؤثر (لأن طبيعتهم الغير جسدية ليست في حاجة إلى غذاء) ـ ومع ذلك هم يسرعون في الهواء ليلاً ونهاراً كخُدّام مُتحمّسين يحتالون ضدّنا. ولكن إذا وَحّدنا أنفسنا مع اللّه ورفضنا تعدّياتهم، فإنّهم يبتعدون بعيداً مملوئين غيرة وحَسَداً.

لَيتَهُ لا يَخَفْ إنسانٌ ما من الهلاك، مهما كان سقوطه، فإنّ السامري الصالح الذي هو حارس النفوس، أقول أنه لن يجتازه بل يَحنُو عليه ويُشفيه.

القديس أمبروسيوس

ينبغي إذن على المسيحيين أن يتدرّبوا على محبة الحكمة، ويجب على النفس أن تهرب من الضرر الناتج من فعل الشر. إن إظهار الاعتدال فيما يتعلّق بشرب الخمر يجعلنا نتجنّب السقوط في الخطية. إنني أؤكّد بشكل عام أن لا شيء مما نتناوله إن كان ماء أو زيت أو أي غذاء آخر ـ مِن غير دم ـ يمكنه أن يُشابه غذاء الروح، فالغذاء له مظهر خارجي وتكوين داخلي، **أمّا الصوم فقد تعيَّن من أجل نقاوة الروح**. إن كان الشخص يُنَجِّس نفسه باختياره وبأفعال أخرى مُشينة ، فلماذا نُضَيِّع أوقاتنا في شرب الماء فقط؟ **ما هي الفائدة من صوم بدني ما لم يَتَنقّى العقل؟** إن مركبة خفيفة الحركة تجرّها أربعة خيول ليست لها فائدة بدون لجام. ما هيَ المنفعة من سفينة سريعة ما لم يوجّهها مدير دفة رزين؟ **إنّ الصوم هو أساس الفضيلة**، فكما أن أساس البيت وعارضة السفينة ليست لهما فاعليّة ولا نفع إن لم يكن قد تمّ تشييدهما بمهارة وصلابة شديدة ، هكذا التقشّف هو غير كاف إن لم يرافقه القيَم الأخلاقيّة اللائقة.

فلنجعل خوف اللّه يُعلّم اللسان أن يتكلّم في الوقت المناسب ولا يتفوّه بألفاظ الغرور. إن فعلنا ذلك سوف نعرف الوقت المناسب والقَدْر المناسب للكلام وما هي الكلمة الضروريّة والإجابة الملائمة، ونتعلّم أيضاً ضرورة الحديث بتواضع، ولا نتحدّث بتبجّح بل نستخدم لغة مهذّبة. يمكننا أن نتحكّم في هذا العضو الصغير (اللسان) بإدخال لجام للفم. آنذاك سوف لا يتكلّم بعد بجموح وبأسلوب مُنفلت، إجعلَ الفم ينطق بالتمجيد لا بالافتراء، اجعله يُرنِّم لا أنْ يَلعَن، ينطق بالتسبيح لا أن يثرثر، إجعل اليد الطائشة (التي تعتدي على الغير) تُكبَح بشدّة بواسطة تذكّر اللّه. لنَصُم إذن لأجل هذه الغايات لأن حَمَلَنا المسيح قد شُتِمَ ولُكِمَ على وَجهه [٣] وعوملَ بكل ازدراء وسُمِّرَ على الصليب.

يجب علينا كتلاميذ المسيح أن لا نُظهر (مع الصوم) نفس السلوك الخاطىء الذي كان للشعب اليهودي قديماً، لأننا لو فعلنا ذلك ستنطبق علينا كلمات أشعياء : «ها إنّكم للخصومة والنزاع

تصومون، ولتضربوا (المسكين) بلكمة الشرّ» (إش٥٨: ٤)، لكن لنتعلّم الأعمال النقيّة الخاصة بالصوم من هذا النبي: «أليسَ هذا صوماً أختارَه: حَلّ قيود الشرّ. فَكّ عُقَد النير، وإطلاق المسحوقين أحراراً، وقطع كل نير. أليسَ أن تكسر للجائع خُبزك، وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك» (إش٥٨: ٦-٧).

أعـط المحتـــاج من وَفرَتكَ:

الآن هو وقتٌ مناسب لكي تكون غير غافل عن المحتاج والعريان، لأن هناك حشدٌ من المقيّدين على أبوابنا، ليس هناك أي نقص في الغرباء والطوّافين، والأيد الملتمسة للإحسان على الدوام ممتدةً، فكل هؤلاء البشر مسكنهم في العراء والنُزل والساحات العامة والطرقات ومواضع الأسواق المهجورة، يسكنون الكهوف مثل البوم والغراب الأسود [٤] ويرتَدُون ملابس رثّة، يتنبّه لهم المزارع ويتعطّف عليهم. إن سقط في طريقهم طعام ينقضّون عليه، تُقَدِّم لهم الينابيع مياه للشرب، وتصير جحور الأرض لهم مخازن، فهم لا يتركون شيئاً يُفقَد بل يحفظونه بحرص شديد. رُكَب متلاصقة معاً تُشَكِّل مائدة، وسطح الأرض هو فراشهم. نهرٌ أو بركَة موهوبة مجاناً من الله تصير لهم حماماً بلا إنشاء. لم تَكُن حياة ذاك الذي يطوف في الحقول هيَ هكذا منذ البداية بل أتت فقط نتيجة للنكبات والعَوَز.

الشخص الذي يصوم هو مُزَوَّد باحتياجات الحياة الضروريّة ـ هذا مُبرّرٌ كاف لكي نكون كرماء نحو إخوتنا ـ **أعـط الفقراء أي شيء تستهلكه بجشع، إجعَل الخوف المستوجب للّه يقدّم لك المكافأة. تدرَّب على ضبط للنفس بشكل صحيح مُظهراً تَعَقُّلاً أمام الحالتين المتعارضتين: حالة شَبَعكَ الزّائد وحالة جوع أخيكَ**. إنّ الأطباء يؤدّون عملهم بطريقة مماثلة، يُفرغون من بعض المرضى سوائل ويعطونها لمرضى آخرين حتى يحافظون بالتفريغ والإضافة على صحة الإثنين [٥]. إستمع جيّداً إلى هذه النصيحة الحسنة. اجعل الصواب يفتح أبوابك على مصراعيها، اجعل نصيحة المعوَزين تؤثّر في الأثرياء. **لا تُغني المعوَزين بكلام الجدل بل أعطي المُحتاج من وَفرَتكَ**.

إنّ الشخص المُحتاج والمريض في نفس الوقت، هو شخص فقير على نحو مُضاعَف، أمّا الأشخاص البائسين الذين لهم صحة جيّدة يستطيعون أن ينتقلوا من باب إلى باب، ويذهبون بكل حرص إلى الأغنياء ويتوسّلون صدقة من المارة عند تقاطع الطرق، ولكن أولئك المبتلون بالمرض مقيّدين في فراشهم ومطروحين في الزوايا كما طُرِحَ دانيال في الجبّ، هم يتطلّعون إلى رأفتك واهتمامك بالفقراء وكأنّهم ينتظرون حبقوق [٦]. بذرة الرحمة تنتج ثمراً كثيراً، إزرعها وستملأ بيتك بكميّة هائلة منَ النِّعَم.

لعلّك تقول: «**أنا فقير**» ـ بالرغم من ذلك أعط مما عندك. لا يطلب الله منك ما يفوق مقدرتك، فأنتَ يمكنك أن تَعطي خبزاً، وغيرك يقدّم شراباً من الخمر، وآخر ثوباً، وهكذا محنة شخص واحد تنتهي بهذه المساعدة المشتركة. موسى النبيّ لم يتقبّل أموالاً لأجل خيمة العبادة من فرد واحد بل تقبّل من الجميع [٧] فالبعض أحضرَ ذهباً كثيراً، وآخرون أحضروا فضة، بينما الفقراء قدّموا جلود أو شعر ماعز. ألم ترى كيف أن تقدمة الأرملة فاقت تقدمة الرجل الغني؟ فهي أعطت كل ما عندها كل معيشتها. لا تحتقر تقدمة الفقراء كأنها لا تليق، ضعها في الحسبان وتأكّد أن قيمتها ثمينة. إنّ مخلِّصنا اتخذ هيئة إنسان، أحبَّ البشر وأنعَم علينا بشخصه لكي ما يُخزي الشخص الغير مُبالٍ وأولئك الذين يشمئزون من الفقراء.

الخراف والجداء أمام كرسي المجد:

إن الخير الذي نتوقّعه محفوظٌ لنا، وحرّاس ملكوت السموات (الملائكة) يفتحون أبواب الصلاح الإلهيّ (للأبرار) وأمام فاعلي الشرّ الأردياء يغلقونها، هم جديرون بالثقة في دفاعهم (عن الأبرار) ويُقَدِّمون أعذاراً عنهم، وهم أيضاً يوجِّهون اتهامات بكل شدّة (للأشرار) لا بالكلام لكن بالدلائل، إذ أن السيّد المسيح يفحص قلوب الجميع [٨] ويُعلن على الملأ حُكمَه بمنتهى الوضوح. إنّ الوعظ المقدّس الذي سمعتموه كثيراً يَصف الدينونة المخيفة، ومن خلاله نرى ابن الإنسان آتياً من السماء وماشياً على السحاب وكأنه أرض، بينما تلازمه أعدادٌ لا تُحصَى من الملائكة. وبعد أن يجلس الملك على كرسيّ مجده تنقاد إلى محضره كل قبيلة وكل شعب تحت الشمس فيقف كافة الجموع أمام كرسي الدينونة، ثم يقسمون لمجموعتين: أولئك الذين عن يمين السيد المسيح يُدعون خراف. أمّا الذين عن يساره فيُدعون جداء ـ فأسلوبنا البشري يُمكّننا من رسم هذه المقارنة ـ هناك يتكلّم الديّان، ويُجيب الملك على أولئك الذين كانوا كرماء، ويكافيء الأبرار الذين سلكوا بالمحبّة أثناء حياتهم بملكوت السموات، بينما يدخل الأشرار إلى النار الأبديّة.

الكتاب المقدّس شرح كل هذا بتدقيق باستخدام مثال المحكمة، حتى نتعلّم كيف يكون السخاء في الأعمال الصالحة. **الحياة الملائمة هي الحياة التي تصير فيها أُمّاً للفقراء، مُعلّماً للأغنياء، مثالاً للشباب، ملاذاً للمسنين، كنزاً للمحتاجين، منفذاً للمعدمين، وسَنَداً لجميع الذين في محنة من كل الأعمار**. وكما يحدث في مدرسة المصارعة عندما يُبَوَّق بالبوق فيُنادي جميع المتنافسين بصوته المدوّي ويُحَرِّك طموحهم لنوال الجوائز، هكذا أيضاً عمل الرحمة ينادي ويستحثّ الجميع، يُظهر الكَرَم تُجاه الذين في محنة، يُجَنِّب البلايا وفي نفس الوقت يُقَدِّم الإغاثة. **عمل الرحمة هو بالحقيقة أسمى أنواع التمجيد إذ أنه ترافق مع اللّه، محبوب لصلاحه وبه تظهر قرابتنا له، فاللّه هو أصل ومنبع كل فضائلنا وأعمالنا الصالحة المقدّمة للجميع**.

هبات اللّه صانع الخيرات ومحاكاتنا له:

خلق اللّه الأرض وجمال السموات ودفء الشمس والبرد، ووضع الأوقات بشكل منظّم جداً ـ مع أنه لا يحتاج هذه الأشياء ـ ويعمل على الدوام منَ أجل منفعة الإنسان كمُعيل له، فهو الذي

يزرع كل شيء في وقته ويرويه بشكل عجيب، إذ يُعطي بذراً للزارع ويُنزل المطر من السحاب ويسكبه بوفرة على الحقول ـ كما قال أشعياء النبيّ [٩] وعندما يثمر الحصاد ويظهر النبات ترحل سُحب السماوات ـ التي كانت معلّقة فوقنا ـ وتَمُدُّ الشمس دفئها بأشعة شديدة حتى تنضج البراعم الجميلة. يوفّر اللّه للإنسان الطعام بغنى، وينمّي الكروم، ويزوّد كل أنواع الحيوانات أيضاً بالشراب في الوقت المناسب. هو يمنحنا أيضاً جلوداً صوفيّة للحماية وتغطية أقدامنا. إنك تستطيع أن ترى من خلال تقديمك الغذاء والشراب للجياع وتوفيرك الملابس للعُراة أن اللّه هو خالق كل هذه العطايا.

إن كنت ترغب أن تفهم كيف يشفي اللّه الشخص المُبتلَى بالشرّ[١٠] ، إنتبه إذن لهذه الكلمات: مَن هو الذي علَّم النحلة أن تعمل بالشمع وتصنع عسلاً؟ مَن هو الذي يقطر زيت الصنوبر والدراوة (ذرة شاميّة) وشجر الصمغ؟ مَن هو الذي يُجفِّف النبات العطري المستورد من الهند؟ مَن هو الذي أوجد الزيت بواسطة مجهود جسدي شاق؟ مَن هو الذي يميّز الجذور والأعشاب ويعلم أنواعهم؟ مَن هو الذي اخترع ببراعة أدوية للشفاء؟ مَن هو الذي يفجّر ينابيع مياه دافئة من الأرض، وجعل المياه الباردة والدافئة تتدفّق من أجلنا لتبديد الجفاف والحريق؟ يمكننا الآن أن نستعير كلمات باروخ المناسبة: «اهتدى (اللّه) إلى كل طريق للمعرفة وجعله ليعقوب عبده وإسرائيل حبيبه» (باروخ٣:٣٧). كذلك المهارات التي تتعلّق بالنار وما لها علاقة بالمياه والتقنيات الأخرى العديدة، كلها مُعدّة لخدمتنا بطُرق كثيرة. **اللّه إذن هو منبع وأصل كل سخاء وهو الذي يُسدِّد احتياجاتنا بغنى.**

إن الكتاب المقدس يُعلِّمنا أن نُحاكي الرب الخالق بكل غيرة، بالقدر الذي يستطيع فيه الكيان القابل للموت أن يضاهي قداسته وخلوده، لكن حينما نستولي على الأشياء لأجل متعتنا الشخصيّة ونختارها لأجل نهايتنا ونختزنها بأنانيّة فإنّنا بذلك نُظهر خزياً. نحن لا نُظهر أي اهتمام بالمُصابين ولا نُقدِّم عوناً للفقراء. ما هذا السلوك المُخزي! إنسان يرى إنساناً آخَرَ يتضوّر جوعاً ويفتقر إلى الحافز الذي يدفعه لسدّ رمقه.! مثل هذا الشخص الذي لا يُعطي الآخرين لا يهتم بأمنه الخاص أيضاً، فهو للأسف يترك النبات سريع العطب أن يجفّ من نقص المياه ومع ذلك لا يعطيه للمحتاج، وكما أن المياه المتدفقة من أحد منابع الأنهار تسقي حقولاً كثيرة، كذلك أيضاً كَرم عائلة واحدة يكفي لمساندة العديد من الفقراء، أمّا الإنسان ذو الطبع البخيل والحقود فيُشبه حجراً واحداً يصدّ جريان مسار المياه.

صورتنا الأصليّة الغير الفاسدة:

يجب ألا ننشغل بالاهتمامات الأرضية، علينا فقط أن نعيش من أجل اللّه، إنّ الطعام يعطي لذّة بدخوله من جزء صغير من الجسم أي من الحلق، ومن ثم يدخل إلى المعدة ثم يُنحلّ ويُخرج من الجسم. أمّا **الرحمة والرأفة فهما صفتان محبوبتان تخصان اللّه، وعندما يقيما في شخص فإنهما يؤلهانه**[١١] **ويختمانه بالإقتداء بالصلاح، فنجلب إلىَّ الحياة صورتنا الأصلية الغير فاسدة التي تتجاوز تخيلنا.**

ما هو ذلك الذي نجاهد من أجله؟ (إنها الحياة الأبديّة)، إذ إننا بملء الرجاء نتوقع الفرح العجيب حينما نخلع هذا الجسد الذي يسود عليه الفساد، ونلبس عدم الفساد [١٢]، ونحظى بهذه الحياة المباركة الأبدية الغير قابلة للفساد التي لا يمكن لنا الآن أن ندرك أفراحها وبهجتها.

حياة الترف وإخوة لعازر خارجاً:

أنتَ يا مَن أنعَمَ عليكَ اللّه بالحجة والعقل لكي تفسّر الأمور الإلهيّة، لا تنجذب إلى ما هو زائل، أضبط حياتك بالإختيارات الحكيمة، علينا أن نُخَصِّصَ نصيباً للفقراء الذين يحبّهم اللّه لأن ما نملكه ليس لنا وحدنا. اللّه أبونا كلنا هو الذي يملك كل شيء ونحن جميعاً أعضاء ننتمي إلى جنس واحد. إنه لأمرٌ رائعٌ جداً أن يقتسم الإخوة أفضل ميراثهم بالتساوي، فلو حاز أخٌ واحد على ثروة ما فبقيّة الإخوة أيضاً سوفَ ينتفعون. إنّ مَن يتمنّى أن يكون سيّداً على كل شيء ويستثني بقيّة الإخوة من الثلث أو الخمس فهو طاغية مُستبد. بربريٌّ عنيد أو وحشٌ لا يشبع، يبتهج بالتهامه الطعام وحده دون غيره أو بالأحرى هو أكثر قسوة من أي وحش. فالذئب لا يمنع ذئباً آخَرَ من الفريسة، ومجموعة الكلاب تمزّق نفس الجثة، أمّا هذا الإنسان بجشعه لا يسمح لإنسان آخَرَ أن يُشاركه ثروته. الطعام باعتدال هو كاف. **لا تَسقُط في بحرِ الجشع الذي لا يُشبِّع.** إن البحّار عندما يكون في موقف خطير لا يُدمِّر سفينته على الصخور المغمورة، بل يفلت من هذا الخطر الرهيب، لأنه إن سقط فيها لا يستطيع أن ينجو أبداً.

إستعمل ما تُقدِّمه لكَ هذه الحياة ولا تسيء استعماله ـ بالتوافق مع ما علَّمه لكم القديس بولس [١٣] ـ وَجِّه نَفسك للتمتّع بالقَدْر المُناسب، ولا تأخذ متعة من عمل غير لائق، وتجنَّب نفس المصير الذي يَلحق بالحيوانات والوحوش والطيور والأسماك سواء كان سهلٌ أو صعبٌ الحصول عليها، ذات قيمة ثمينة أو ضئيلة. وكما أن الجهد اليدوي مهما كان كبيراً لا يستطيع أن يسدّ بئراً عميقاً، هكذا أنت لا تقدر أن تملأ البطن بالذهاب إلى الصيد. في تفتيشنا عن الملذات نحن لا نترك حتى أعماق البحار لتبقى هادئة، لا نذهب فقط وراء الأسماك بل نستخرج كائنات حية أخرى من الأعماق ونحضرها للأرض والهواء، فيظهر هيكلهم العظمي الصغير، ونصطاد قنفذ البحر والحبّار الزاحف والكائنات ذوات الأرجل الكثيرة الملتصقة بالصخور والقواقع الصغيرة من الأعماق وكل نوع من الكائنات البحرية. نحن من أجل جشعنا نُوَظِّف كل وسيلة حتى نخرج هذه الكائنات ونحضرها للنور.

ما هيَ عواقب هذا التنقيب المتواصل الذي يهدف إلى إمتاع الذّات؟ ينتج عنه الإثم بالضرورة، فهو يَدخل كالمرض ويُخرج أي شيء صالح متبقي. فالأشخاص الذين يبسطون مائدة مليئة بكل المباهج الحسيّة. هم مُرغمون أن يُنشئوا منازل رائعة، ولا يدَّخرون شيئاً في سبيل اتساعها وتحميلها. هم مُغرَمون بمواضع الإسترخاء والملابس الملونة الزاهية، ومتلهفين على الأثاث المنزلي، ويزيّنون موائدهم بكل نوعٍ من الزخارف الفضيّة

ـ البعض منها مصقولٌ بدقة والبعض الآخر منقوشٌ بمهارة ـ لكي تقدّم متعة للعين كما للحنجرة عند سَرد قصص حول كيفيّة صُنعها ـ أوعية وحوامل ثلاثيّة القوائم، أوعية مياه وأقداح وأطباق طعَام وكؤوس متعدّدة ـ وأيضاً تضم موائدهم ممثلين وعازفين على القيثارة، وخطباء فصحاء ومغنيين رجالاً ونساء وراقصات، وكل نوع من الأداء الفاسق، وفتية مخنّثين بشَعر طويل وبنات وقحين. خلاعتهم تجعلهم أخوات لهيروديا (١٤) التي قتلت يوحنا المعمدان، بل تقتل القداسة بداخل كُلٍّ منّا، وتقتل العقل المحب للحكمة.

بينما تحدث هذه الحركة داخل البيت، نجد في الخارج إخوة لعازر بلا عدَد يجلسون على الأبواب، البعض مُبتلين بقروح والبعض فاقديَ البصر، والبعض محاصر بأقدام كسيحة بينما البعض الآخر يسحبون أنفسهم بصعوبة إذ ليس لَهم أطراف، هم يصرخون لكن لا يلتفت إليهم أحد، فصوت الموسيقى يغمرهم بأغاني المطربين، بالإضافة إلى كثير من الضحك المثير. إن أحدثوا ضجيجاً على الباب يقفزّ البوّاب وبقسوة يُطلق عليهم الكلاب فتصيبهم بجروح وضَربات، ثم ينصرف أصدقاء المسيح القانعين بوصاياه، وبدلاً مَن الحصول على الشَّبَع بخبز ولحم يحصلون على اعتداء وضَرب، أمَّا في داخل البيت فهناك أشخَاصٌ أغنياء يشرعون في أعمالهم، وآخرون ـ إذ يُشبهون السفن المحملة بحمولة زائدة ـ يتقيّئون، بينما أشخاص آخرون يرقدون على المائدة وكؤوسهم بجوارهم. هنا تكمن خطيئة مزدوجة من الخزي: طرفٌ ثَملٌ تماماً وفي نفس الوقت طرفٌ بائسٌ جائعٌ مطرودٌ.

إن كان اللّه يلاحظ عن قُرب هذه الأشياء، فكيف ترى الحصّة الزهيدة المخصّصة للفقراء؟ أنتَ تتعجّب لماذا يحدث هذا وتستنكر حدوثه لأن الإنجيل المقدّس يشهد ضدّ كلّ هذه الأمثلة السيئة.

الصياح والأنين من الأعماق يزداد واللّه يلاحظ هذه الأعمال الشريرة التي تخرج من مثل هذه الهوّة الكريهة. هناك مثلٌ آخر يحكم اللّه فيه على شخص بموت مفاجيء، لأنه أراد أن يحوز على وجبته الصباحية (المستقبليّة بالاكتناز في المخازن) مع أنه في المساء (أي نهاية حياته)، إلا أنّه لم يَرَ أشعّة الفجر (١٥).

جعلتَ أيّامي أشباراً:

أمَّـا أنت كإنسان فـان قابل للموت، لا تبتهج بالمُتَع الدنيوية وترفض الإيمان بالآخرة، إذ قد شَابهنا أولئك الذين يسعون لمداهنة الجسد بكل وسيلة ممكنة. مثل هؤلاء هم أسياد بلا ورثة وملوك يسود نفوذهم على الأرض فقط. **يجب علينا أن نكون حريصين جدّاً على الحصاد، ونتطلّع بشوق لفرح الحصاد ونحن في زمن الغَرس.** إنّنا نغرس شجرة ونتوقّع ظلال فروعها الرفيعة، وننتظر الثمر الوفير من شتلات أشجار الزيتون، وعندما تنضج هذه النباتات في الخريف ويقترب الموت في الشتاء، لا يتبقى بعد (على الحصاد) سنوات عديدة بل ثلاثة أيام أو أربعة فقط.

لنفكّر ملياً إذن في حياتنا العابرة سريعة الزوال، وفي طبيعة هذا الزمن غير المستقرة التي تشبه النهر المندفع الذي يحمل كل شيء أمامه للدمار، حتى ما نكمّل هذه الحياة الفانية والقصيرة بدون معصية، وحيث أننا معرّضين للأخطار في كل ساعة يجب أن نكون مستعدّين دائماً للوقوف أمام الديان العادل.

إن صاحب المزامير المُبارَك يعطي صوتاً لهذا الشعور، راغباً في معرفة نهاية حياته مُسبقاً. فهو يتوسل إلى اللّه لكي يعلمه عدد الأيام المتبقية له حتى ما يكون مستعداً عند الموت، ولا يكون مكروباً ـ كمسافر غير مستعد ـ في غمرة رحلته والمشاكل المرتبطة بها: «تكلّمت بلساني عرّفني يا ربّ منتهاي وعدد ايامي ما هو لكيما اعلم انا ماذا يعوزني. هوذا جَعلتَ أيامي كالأشبار وقوامي كلا شيء قُدّامَكَ.» (مز٣٨:٤-٥).

أمعن النظر في تكوين النفس الصالحة وكرامتها الملوكية، وتأمّلَ في ملك الملوك وربّ الأرباب، واسعَى أن تحيا بحسب الوصايا وأن تسلك فيها حسناً، حتى ننال جميعنا ـ بمسلكنا هذا ـ الحياة التي لا عيب فيها في تلك المدينة السماوية، بالنعمة والمحبة التي لربنا يسوع الذي له المجد إلى الأبد آمين.

شواهد وتفاسير الكلمات

١) حيث كانت هذه هي الوسيلة المتّبعة في ذلك الوقت (القرن الرابع) لتعليم الكتابة للأطفال.

٢) «لا يقدر أحد أن يخدم سيِّدَيْن، لأنه إمَّا أن يُبغضَ الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا اللّه والمال» (مت٦:٢٤).

٣) «فابتدأ قومٌ يَبصقون عليه، ويُغَطّون وجهه ويلكمونه ويقولون له: تنبأ. وكان الخدام يلطمونه» (مر١٤:٦٥)، «ولما قال هذا لطَمَ يسوعَ واحداً من الخدام كان واقفاً، قائلاً أهكذا تُجاوب رئيس الكهنة» (يو١٨:٢٢).

٤) «شابهتُ الغيهب البريّ وصرتُ مثل البومة في الخربة» (مز١٠١:٦).

٥) يحدث هذا عند نقل الدم.

٦) «وكان حبقوق النبي في أرض يهوذا وكان قد طبخ طبيخاً وثرد خبزاً في جفنة وانطلق إلى الصحراء ليحمله إلى الحصّادين. فقال ملاك الرب لحبقوق: احمل الغذاءَ الذي معك إلى بابل إلى دانيال في جبّ الأسود» (دا١٤:٣٢-٣٣).

٧) «خذوا من عندكم تقدمةً للرب. كل مَن قلبه سموحٌ فليأت بتقدمة الربّ: ذهباً وفضّةً ونُحاساً وأسمانجونيّاً وأرجواناً وقرمزاً وبوصاً وشعرَ معزى» (خر ٣٥: ٥-٦).

٨) «وصلّوا قائلين: أيها الربّ العارف قلوب الجميع، عَيِّن أنتَ من هذَيْن الاثنين أيّاً اخترته» (أع١:٢٤) ، «واللّه العارف القلوب، شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً» (أع١٥:٨).

٩) «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتُعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل» (إش٥٥:١٠).

١٠) يقصد القديس غريغوريوس النيسي بهذه الفقرة أن أعمال اللّه العجيبة واهتمامه الفائق بالإنسان وتسخير الخليقة لخدمته، إنما تعمل لأجل شفاء الإنسان المُبتلي بالشرّ إن تأمّل فيها وأقدَمَ على محاكاة الخالق في صلاحه ومحبّته.

١١) لا شكّ أن القديس غريغوريوس لا يقصد بالتأله هنا أن الكائن المخلوق يصير غير مخلوقاً، بل يقصد التحلي بالصفات ـ الرحمة والرأفة ـ التي تخص اللّه.

١٢) «لأنّ هذا الفاسد لابدّ أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت» (١كو١٥:٥٣).

١٣) «والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧:٣١).

١٤) «ثم صار مولد هيرودس، رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسَرَّت هيرودس» (مت١٤:٦).

١٥) «فقال له اللّه: يا غبيّ، هذه الليلة تُطلَب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لِـمَن تكون» (لو١٢:٢٠).

فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال

للأنبا بولس البوشي

يا ابن البتول ساعدني ان أتكلم عن أمك، وأنا أعترف أن الكلام عنها يعلو كثيراً عن فهمنا . . . السماء الثانية التي حل في حضنها رب الأعالي وأشرق منها ليطرد الظلمة من أقاصي الأرض، المباركة في النساء، بها زالت اللعنة، ومنذ عهدها انتهى القصاص، العفيفة والمحتشمة والمليئة بجمال القداسة، حتى أن لساني يعجز عن أن ينطق بكلمة واحدة بخصوصها ! ابنة الفقراء أصبحت أماً لرب الملوك وأعطت الغنَى للعالم المحتاج ليحيا به، السفينة الحاملة للكنوز والبركات مَن بيت الآب التي جاءت وسكبت غناها على عالمنا المقفر، الحقل الجيد الذي بغير بذار أنبت حزمة، وبغير حرث أثمر ثمراً عظيماً، حواء الثانية التي ولدت الحياة للمائتين ودفعت الديون ومزقت صق حواء أمها . . .

الابنة التي حاكت ثياب المجد واعطتها لأبيها (آدم) ليغطي بها نفسه لأنه كان عرياناً وسط الأشجار، العذراء التي بغير زواج بأعجوبة صارت أماً، والأم التي بقيت بغير تغيير في بتوليتها، المقصورة الجميلة التي بناها الملك ودخلها وسكن فيها ولم تنفتح الابواب أمامه حين خرج منها (حز:٤٤:٢)، الفتاة التي صارت مثل مركبة السمائيين (حز ١) وبقداسة حملت الاله الوحيد القدير حامل الخليقة (كو١:١٧) (عب١:٣)، العروس التي حبلت مع أنها لم ترَ العريس نهائياً وولدت طفلاً دون أن تذهب الى مكان مع أبيه! كيف لي أن أصور صورة هذه الفائقة الجمال بألوان بسيطة ؟ اذ لا يمكن مزج هذه الألوان لتصويرها ! فهي أيضاً غير لائقة بها ! صورة جمالها أكثر مجداً وسمواً عن كل تصوري، فلست أجرؤ أن أدع عقلي يرسم صورة لمحياها، من الأسهل أن أرسم صورة للشمس بنورها وحرارتها عن أن أخبر بقصة مريم وروعتها ! ربما نستطيع أن نقبض على أشعة الكون ونصبغها بألوان، ولكن قصتها لم تُحكَ بعد كما ينبغي بواسطة الكارزين، اذا حاول أحد فبأية طريقة يستطيع أن يصفها ؟! . . .

ـ الحب يحركني أن أتكلم عن البهية ولكن سمو الكلام يصعب عليّ كثيراً ! ماذا أفعل ؟! سأصرخ علناً أنني لم أكن أصلح لذلك ولن أكون، ولكني سأعود أحكي بدافع الحب . . . الحب وحده لا يُلام اذا تحدث، لأن طريقه مفرح ويثري سامعيه. . .الفقيرة بنت أحد الفقراء وملاك تقابلا، وتكلما في قصة كلها عجب، عذراء نقية وساهر ناري تكلما في روعة، حديث صالح السمائيين مع الأرضيين، احدى النساء وأمير لكل الطغمات صنعا اتفاقاً من أجل مصالحة كل العالم، جلس الاثنان بين العلويين والسفليين، تكلما وصنعا سلاماً لكل الذين كانوا غاضبين، الفتاة والساهر تقابلا وتناقشا في الأمر فَبَطُلَ الخصام بين الرب وآدم، هذا النزاع العظيم الذي بدأ بين الأشجار (تك٣:١-٧) أصبح موضوع مناقشة ! وأتى الى نهايته وأصبح هناك سلام، مخلوقة أرضية ومخلوق سمائي تكلما بمحبة وتوقف الخصام بين الفريقين وأصبحا في سلام ! . . .

زياح لأيقونة والدة الإله العجائبيّة في دير ذوخِيّاريّو في جبل آثوس

انظر تفاصيل العجيبة في الغلاف الاخير من المجلة

الزمن الشرير الذي قتل آدم قد تغير وأتى زمن جميل حيث يرتفع آدم . . . بدلاً من الأم التي كتبت ديونها وأذنبت بين الأشجار سدّدت الابنة كل ديون أبيها آدم، حواء والحية قد إستُبْدِلا بالساهر ومريم، القضية التي تشوهت من البدء أخذت مكانَها الصَحيح ! . . .

من الباب الذي دخل منه الموت دخلت أيضاً الحياة، وفكت القيد العظيم الذي قيدنا به الشرير هناك . . .

كما أن الأولى (حواء) جاهلة فالأخيرة حكيمة لمن له الفهم، فكل ديون الأولى أوفتها الأخيرة، بسبب الأولي حدث **السقوط** وبالأخيرة **قيامة لكل جنسنا**، حدثت خطية بسبب حواء، ولكن نشأ بر من داخل مريم. ظهرت مريم الينا كمثل الرسالة المختومة التي كانت مخفية فيها أسرار الابن وغوامضه، لقد أعطت جسدها كورقة نظيفة وقد كتب الكلمة عليها بجوهره، الابن ذاته هو الكلمة وهي الرسالة التي عن طريقها أُرسلت المغفرة الى كل العالم، هي الرسالة ليس لأنها قد خُتمت بعد أن نُقش عليها لكن لأن القدوس ختمها ثم كتب عليها، ختمها ثم نقش عليها، وهي أيضاً قُرئت بالرغم من أنها لم تفتح، لأن الآب أعلن بها سرائر فائقة، دخل الكلمة وحلَّ في داخلها بالرغم من الأختام، علامات البتولية في جسدها ! والحبل في بطنها ! وهذا هو العجب ! معها أرسل الآب أنباء مليئة بالأخبار السارة، ومنها مغفرة لكل المحكوم عليهم برباط الخطية، بها أرسل التحرير لآدم الذي كان في العبودية الذي أصبح وارثاً ! منها أتى وسط الأبناء لأنه اصبح ابناً ! بها تصالحت الكائنات السمائية بالسفلية، والجهتان اللتان كانتا في عداوة أصبحتا في سلام عظيم، بسببها رفع جنس المرأة وجهه وزال عار جميع النساء من كل الأمم، بسببها انفتح الطريق الى جنة عدن هذا الذي كان مغلقاً وهربت الحية وعبر الانسان الى اللّه، بسببها ترك الكاروب رمحه حتي لا يحرس مرة أخرى شجرة الحياة . . .

لقد أعطتنا ثمرة جميلة مملوءة بالحياة حتى نأكل منها ونحيا الى الأبد مع اللّه . . . .

الطوبى للطوباوية التي هي بالحقيقة مباركة، اذ تطويبها أعظم من أفواه كل العالم ! . . .

مطوّبة لأن جمال بتوليتها العظيم يستمر، واسمها يضيء بجسارة الى الأبد، مطوّبة لأن بسببها جاء الفرح الى جنس آدم وبها قام الساقطون الذين طردوا من بيت الآب . . .

مطوّبة هذه التي ببطنها الصغير سكن الوحيد العظيم الذي يملأ السماوات بل وتضيق عليه، مطوّبة هذه التي ولدت العتيق الأيام الذي أوجد آدم والذي به تجددت كل الخليقة التي أصبحت قديمة، مطوّبة هذه التي أعطت قطرات الحليب من أعضائها للذي بأمره تتحرك أمواج البحر العظيم، مطوّبة هذه التي حملت وحضنت ولاطفت كطفل: اللّه العظيم الى الأبد الذي بقوته الخفية يحمل العالم، مطوّبة هذه التي منها ظهر المخلص للذين في الأسر الذي بغيرته أسر السجان وطمأن الأرض . . . مطوّبة هذه التي غذّته كرضيع بحليبها الطاهر، الثدي الذي منه أخذ العالم الحياة، مطوّبة لأن ابنها يعطي الطوبى لجميع الطوباويين، مبارك هو ذاك الذي أشرق علينا من طهرها بقداسة .

تمجيد للبتولية

للقديس
أثناسيوس الإسكندري

أيتها البتوليّة صورة اللّه غير الفاسدة، شجرة الحياة.
أيتها البتوليّة الأرجوان وسط كل الأرجوانات، وجه اللّه غير المائت.
أيتها البتوليّة تاج المجد وقضيب الملكوت !
أيتها البتوليّة نغم السرّ العجيب، جميلة هي أكاليل ونصرات حروبك!
أيتها البتوليّة المتلئة نوراً بالنسبة لأولئك الذين يحبّونك .
أيتها البتوليّة القريبة من اللّه ولكن المُحتقرة من الناس.
أيتها البتوليّة الشفقيّة الطوعيّة والحياة السمائية.
أيتها البتوليّة هيكل اللّه وبيت الملك الكبير !
أيتها البتوليّة فردوس وخيمة الكل !
أيتها البتوليّة أنت جديرةٌ بخيرات الربّ .
أيتها البتوليّة التي من عائلة وميراث اللّه غير المائت.
أيتها البتوليّة لقد استراح فيك خالق الإنسان المسيح كيما يكمل كل غلبته.
أيتها البتوليّة الشجرة المزدهرة والحلاوة الدائمة.
أيتها البتوليّة الفردوس ومسكن الضابط الكل !
أيتها البتوليّة مجد اللّه وزينة رؤساء الملائكة
حياتك وروحك لهما جمالٌ عظيم مثل الميراث الموعود لك أيتها البتوليّة الجفول (النافرة)، أنت ...
(هذه قصاصات من كتابات القديس أثناسيوس حوالي سنة ٣٧٣م) .

سافر فلاح من قريته الى مركز المدينة ليبيع الزبد الذي تصنعه زوجته. وكانت كل قطعة على شكل كرة كبيرة تزن كل منها كيلوغراماً واحداً.

باع الفلاح الزبد لبقّال اعتاد ان يتعامل معه، فاشترى منه ما يحتاجه من سكر وزيت وشاي ثم عاد الى قريته.أما البقّال فبدأ يرصّ الزبد في الثلاجة، عندما خطر بباله أن يزن قطعة منه واذ به يكتشف انها تزن ٩٠٠ غرام بالكمال والتمام لا أكثر... وَزَنَ الثانية، ووجدها مثلها وكذا كل الزبد الذي احضره الفلاح.

في الاسبوع التالي، حضر الفلاح كالمعتاد ليبيع الزبد فاستقبله البقال بصراخ:«انا لن اتعامل معك مرة اخرى، فانت رجل غشاش، لان كل قطعة من الزبد الذي بعته لي تزن ٩٠٠ غراماً وليس كيلوغراماً كما يجب أن تكون، وهوما تحاسبني عليه»!

«هزّ الفلاح رأسه بأسى وقال «لا تسيء الظنّ بي يا سيدي، فنحن أناس فقراء ولا نمتلك وزنة كيلوغرام، فانا عندما آخذ منك كيلوغرام من السكر أضعه على كفة ميزان وأزن الزبد في الكفة الاخرى! » .

+ لقد دان هذا البقال الفلاح المسكين رغم علمه اليقين بأنه هو وليس غيره من يجب أن يُدان. دعونا نحاسب أنفسنا، بل نشن حرباً على أنفسنا كلما وجّهنا لوماً أو إدانة لأيٍّ كان ولأيِّ سبب كان. وعندما تبدأ معركة المرء مع ذاته عندها يكون على طريق التوبة الصحيح.

+ دعونا أحبتي ننقش هذه الآية العظيمة في قلوبنا لكي لا ننسى ما حيينا بأنه «لا تدينوا لكي لا تدانوا، لأنه بالدينونة التي تدينون تدانون، وبالكيل الذي تكيلون يكال لكم ويزاد. » (مت٧:٢) .

قال ناسكٌ

لَعَمْرُكَ ما الدّنيا بشيءٍ أريدُهُ سوى أنّها نزْلٌ وأنّي مسافرُ
إذا أقبَلَتْ يوماً عليَّ بِودِّها فإنّي بما توليهِ بالبرِّ كافرُ

السيد المسيح يعزي تلاميذه من خلال آلامه الطوعيّة

للقديس يوحنا الذهبي الفم

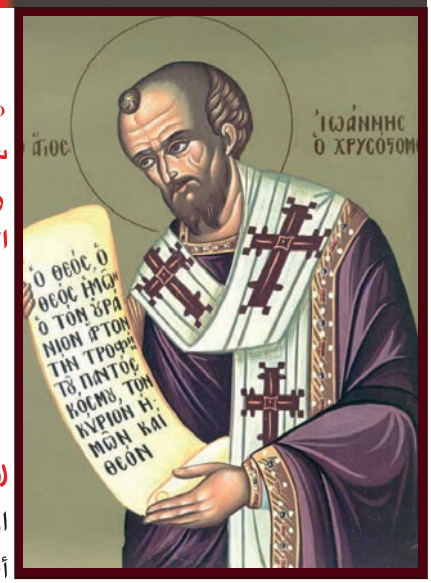

روح الحقّ

«ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الإبتداء» (يو١٥:٢٦ـ٢٧).

روح الحقّ :

انتبه ولاحظ من فضلك، أي عزاء يقوله لتلاميذه: «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الإبتداء» (يو١٥:٢٦ـ٢٧).

وجديرٌ بنا أن نولي هذا الروح كل ثقتنا لأنه روح الحقّ. لأجل هذا لم يدعوه هنا روح قدس بل «**روح الحقّ**». وعبارة «**من عند الآب ينبثق**» تدل على أن المسيح يعرف بدقة كلّ شيء، مثلما يقول بالضبط عن ذاته: «أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب» (يو٨:١٤). وهو هنا يتحدّث أيضاً عن الحقّ، «**سأرسله أنا إليكم**». ليس فقط الآب الذي يُرسل المعزّي بل وأيضاً الابن.وانتم ستكونون جديرين بالثقة إذا عشتَم معي عن قُرب، وأنتم لم تسمعوا هذا الكلام من أُناس غرباءَ. وبسبب هذه العشرة التي ربطت بينهم وبين المسيح فقد أَكَّدَ الرُسل هذا الأمر قائلَين: «نحن الذين أكلنا وشربنا معه» (أع١٠:٤١). وكَون أن هذه الأقوال لم يتكلّموا بها من باب المجاملة والتفضّل، فهذا ما يؤكِّده الروح الذي كان شاهداً على أقوالهم.

«**لقد كلّمتكم بهذا لكي لا تعثروا**» (يو١٦:١) أي عندما ترون كثيرين لا يؤمنون، وعندما تتألمون بشرور كثيرة. «**سيخرجونكم من المجامع**» (يو١٦:٢)، ولقد حدث لهم ذلك بالفعل، فقد أعلن اليهود أن من يعترف بالمسيح يُحَرَّم. «**بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدّم خدمة للّه**» (يو١٦:٢). سوفَ يتفنّنون في قتلكم لدرجة أنهم سوف يعتبروا هذا الفعل هو بدافع التقوى وإرضاء اللّه. أخذ يقدّم لهم ما يعزّيهم قائلاً: «وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب. ولا عرفوني» (يو١٦:٣).

كأنه يقول لهم يكفيكم أن تتعزّوا بأنكم تتألمون لأجلي ولأجل أبي. هنا يذكرهم أيضاً بذلك التطويب: «طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شرّيرة من أجلي كاذبين. إفرحوا وتهللوا. لأن أجركم عظيمٌ في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء من قَبلِكُم» (متى٥:١١-١٢).

المسيح يخبر التلاميذ عما يحدث لهم :

«لكني قد كلّمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون إني أنا قلته لكم» (يو١٦:٤).

أي إنه يقول لهم عليكم أن تصدّقوا وتثقوا في صدق ما أقول، لأنكم لن تستطيعوا أن تقولوا أنني كنت أتملقكم وكلمتكم عن الأمور المفرحة فقط، كلامي لم يكن مخادعاً لأن مَن يريد أن يضلّكم لا يفكر أن يكلمكم بأقوال تُبعدكم عنه. إذن لأجل هذا قُلتُ لكم هذا الكلام حتى لا تزعجكم الأحداث غير المتوقّعة، ولكي لا تقولوا في أنفسكم أيضاً أنه لم يخبرنا بأن هذه الأمور سوف تحدث. «**حتى إذا جاءت الساعة تذكرون إني أنا قلته لكم**»، حيث إن المُضطَهَدين يضعون مثل هذه الأقوال في الحُسبان لكي يتغلّبوا على التشكّكات الشرّيرة. هكذا سوفَ يضطهدونكم ـ يقول المخلّص للتلاميذ ـ حتى القتل. إلا أن الأمر لَن يُزعج التلاميذ، طالما أنهم قد سمعوا مُسبَقاً وعرفوا السبب الذي لأجله يتألمون، لأن معرفة السبب تُعَدّ قوّة تعطيهم جرأة على المواجهة. لذلك يعيد على مسامعهم السبب «لم يعرفوا الآب ولا عرفوني» (يو١٦:٣)، «لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كُله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني» (يو١٥:٢١)، «وإن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو١٥:٢٠).

ليتنا نتحمّل الآلام من أجل المسيح :

ليتنا نفكر بحق في هذه الأقوال في وقت التجارب عندما نُضطهد من جانب الأشرار، واضعين نُصبَ أعيننا إيماننا ومكمله ونحن نتألم، من أناس **منحلّين**، لأجل الفضيلة ولأجله هو. لأننا إذا فكرنا في هذه الأمورَ فسوف نجتاز كل التجارب بسهولة. فإن تألم شخصٌ لأجل أشخاص محبوبين لديه فإنه يتفاخر لأجل هذا، فكم بالحريّ إن تألم لأجل اللّه، أي إحساس سوف يشعر به أثناء احتماله هذه المشقّات ؟. لأنه إن كان الصَّلب ـ الذي يعتبر أمراً مهيناً ولعنة ـ قد دعاه المسيح مَجداً وذلك لأجلنا، فكم بالأكثر جداً ينبغي أن نُظهر نحن مثل هذا الإستعداد. وطالما، أن لدينا قوّة فيجب علينا إذاً أن نحتقر الآلام، وبالأكثر جداً ينبغي أن نحتقر المال والطمع والشراهة. إذن، فعندما نتعرّض لأمر مؤلم علينا أن نفكر ليس فقط بالأتعاب بل في الأكاليل أيضاً. لأنه كما أن التجار لا يفكرون فقط في اتساع البحر ومشقة السَفر بل أيضاً في المكسب؛ هكذا يجب علينا أن نفكر في السماء والدالة التي لنا عند اللّه. وإن كان الطمع ما زال يبدو لك أمراً مفرحاً، فكّر في أن المسيح يرفضه وللتوّ سوفَ يبدو لك هذا

الطمع أمراً تعيساً، أيضاً إذا كان عطاءك للفقراء يبدو لك أمراً مزعجاً، فعليك ألا تتوقّف عن التفكير في لحظة قطف الثمار التي تنتج من البذرة التي تلقيها. وعندما يصعب عليك أن تحتقر الممارسة الجسدية مع امرأة غريبة (ليست زوجتك)، عليك إن تفكّر في الإكليل الذي سوفَ تناله لجهادك، وعندئذ سيسهل عليك أن تتحمّل التعب والألم. فإن كان خوف البشر يمنعك من ارتكاب أمورٍ مشينة فكم بالأكثر شوقنا للمسيح.

ممارسة الفضيلة:

ممارسة الفضيلة ليست بالأمر الهين ؛ وبرغم ذلك ليتنا نحيطها بالوعود العتيدة لكي نتشجع على ممارستها، ومحبّو الفضيلة يرون الفضيلة في حدِّ ذاتها جميلة ولأجل ذلك يمارسونها ليس لأجل نيل الجزاء ولكن لأن اللّه يُسَرّ بها. ويعتبرون العفّة أمراً مهماً ليس لأنهم يخافون من العقاب بل لأن اللّه أعطاهم هذه الوصيّة. أما الشخص الضعيف روحيّاً فليفكر في المكافآت. دعنا نطبّق هذا أيضاً على فضيلة الإحسان والصَدَقَة، ليتنا نرحم إخوتنا في الإنسانية، ليتنا لا نحتقرهم في اللحظة التي فيها يموتون فقراً. ليس من المعقول أن يجلس الأغنياء حول المائدة يضحكون ويستمتعون بكلِّ ما لَذَّ وطاب من الخيرات بينما يسمعون بكاء ونواح الآخـرين وهم يعبرون الطريق أمامهم.

ألا نلتفت، ونحن منزعجين، نحو المكان الذي يصدر منه البكاء والرثاء، بل، على النقيض، ونتكدَّر ونسمِّي هذا النوح والبكاء غشاً وخداعاً ؟! ماذا تقول أيها الإنسان؟ هل تجيبني بنعم، إذاً سأقول لك إنه لأجل هذا السبب عينه ينبغي عليك أن ترحمه وتُحسن إليه، ولأجل هذا السبب ينبغي عليك ـ قبل كل شيء ـ أن تخلّصه من العَوَز والاحتياج. وعلى الأقل فإن كنتَ لا تُريد أن تُحسن إليه، فلا يجب أن تهينه. وأذا لم ترد أن تضع نهاية لحالته المأساويّة، فعلى الأقل لا تُلقه في هوَّة الهلاك. عليك أن تفكّر في ماذا سيكون موقفك وأنت تتوسَّل إلى اللّه، في حين تُبعد الفقير الذي يطلب منك مساعدة، لأنه يقول: «وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (متى٧ :٢). تأمّل، كيف ينصرف هذا الفقير في مذلّة برأس مُنَكَّسَة ،بعار وخجل محتملاً بالإضافة إلى فَقره جرحاً من جرّاء إهانتك له. لأنهً إن كنتم تعتبرون التسوّل لعنة، عليكم أن تتأملوا في مدى شناعة المصيبة التي يُبتَلَى بها الفقير حين يطلب ولا يأخذ، بل ينصرف والشتائم تنهال عليه من كل ناحية.

اسلكوا برأفة ورحمة تجاه الفقراء:

حتى متى نتشبّه بالوحوش ونجهل هويتنا بسبب الطمع؟ كثيرون منكم يسمعون هذه الأقوال ويتنهّدون، لكني لا أريد الآن التأوه فقط، بل بالحري عليكم أن تسلكوا برأفة ورحمة تجاه الفقراء. أرجو أن تتأمّلوا ذلك اليوم حين نمثُل أمام عرش المسيح، حينما نتوسل طالبين الرحمة فيقول لنا أمام هؤلاء الذين رفضنا أن نساعدهم، أنكم لأجل رغيف خبز وفلس واحد قد تسببتم في حدوث عواصف عاتية في هذه النفوس. فماذا سنقول عندئذ؟ بماذا سندافع؟ ومن حيث أنه سوف يقودهم أمامنا، اسمع ماذا

يقول: «بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا» (متى٢٥: ٤٥)، لأن هؤلاء لن يجدوا ما يشهدوا به عنا في ذلك الوقت، بل إن اللّه سوفَ يديننا بسببهم. لأن الغني حين رأى لعازر لم يتحدث عن شيء كان قد قدّمه له، بينما ابراهيم تحدث لحساب ذاك. وهذا ما سوف يحدث أيضاً مع الفقراء الذين نحتقرهم اليوم، لأننا لن نَرَ هؤلاء يَسْتَعطون ويمدّوا أيديهم في حالة تستحق الشفقة، بل سنراهم مستريحين في أحضان القديسين، أما نحن ـ الذين رفضنا أن نقدّم العَوْنَ لهم ـ سوفَ نصبح في حالتهم البائسة وسنبدو في نفس منظرهم حين كانوا يَسْتَعطون، وليتنا نصبح هكذا فقط ولا يحدث ما هو أكثر رعباً، أقصد العقاب! لأن الغني هناك لم يكن يرغب في الشبع بالفتات بل كان في عقاب مُخيف في النّار ، وَسَمِعَ هذا القول: «إنّكَ إستوفيتَ خيراتكَ في حياتك وكذلك لعازر البَلايا» (لو١٦:٢٥). ليتنا لا نعتبر الغنَى شيئاً مهماً لأنه سيكون لنا وقوداً للجحيم إن لم ننتبه. والفَقر يمكن أن يصير دافعاً للتمتع والراحة حيث نتخلّص من الخطايا حين نقبل الفقير بفرحٍ، وحينذاك نكتسب دالة كبيرة أمام اللّه.

لقد أعطاكَ جسده وأعطاكَ دمه الكريم:

إذن ليتنا لا نطلب الراحة هنا، حتى نستمتع هناك بالراحة الحقيقيّة، ليتنا نقبل الأتعاب من أجل اقتناء الفضيلة ونتجنّب الأمور الباطلة ولا نطلب لأنفسنا شيئاً بل لنُنفق ما نملكه على هؤلاء المحتاجين. لأنه أي مبرّر سيكون لناَ عندما يعدنا الرب بالسماء بينما نحن لا نعطيه حتى رغيفاً واحداً؟ إنه يُشرق عليك بالشمس (متى٥:٤٥). ويمدك بالخليقة وكل خدماتها، بينما أنتَ لم تُعطه حتى ثوباً واحداً، ولا جعلته مشاركاً لك في مأواكَ؟ ولماذا أذكر لَك الشمس والخليقة! لقد أعطاكَ جسده، وأعطاكَ دمه الكريم، أما أنتَ فلم تُعطه حتى كأس ماء بارد؟ هل أعطيتَ مرّة واحدة؟ ليس هذا هو الإحَسان، لأنك إن لم تساعد في كل ما لديك

لن تُكمل كل عملك، لأن العذارى اللاتي كانت لديهن مصابيح كان لهنّ زيت أيضاً، ولكنه لم يكن كافياً. إذن استمرّ في الإحسان من خيرات الربّ حتى لو سَبَقَ لكَ أن أعطيتَ إحساناً من قَبل.

لأي سبب تحبّ المال؟ من جرّاء الشراهة والطمع يكنز هؤلاء أموالهم وهم كسالى في فعل الإحسان. لأن الذي تعلّم أن يربح ـ بهذه الطريقة ـ لا يعرف أن يُعطي من أمواله. كيفَ يمكن لـمَنْ هو مُدَرَّبٌ على السَّلب والنَّهب أن يرتب حياته على العكس مَن ذلك؟ الذي يخطف ممتلكات الآخَرين، كيف يمكن أن يُعطي، فالكلب الذي اعتاد أن يأكل لحم لا يمكن أن يحرس قطيع الأغنام؟ لأجل هذا يقتل الرعاة مثل هذه الكلاب.

ليتنا نبتعد نحن عن هذا الطعام، حتى لا يُصيبنا نفس الأمر.

عليكَ أن تقضي على اليأس بواسطة أعمال الرحمة:

ألَم تَرَ كيف أن اللّه أنعم علينا بكل شيء ليكون من نصيب الجميع؟ فإن كان اللّه سمَحَ بوجود فقراء بيننا، فهذا فَعَلَهُ لكيّ يُعَزّي الأغنياء حتى يتمكّنوا بإحساناتهم على أولئك الفقراء أن يتخلّصوا من خطاياهم، بَيدَ أنّكَ صرتَ قاسياً وغير إنسانيّ.

إذن فعلى الرغم من أنّكَ أخذتَ قوّة لَتمتلك أعمال الرحمة، إلا أنك ترتكب جرائم قتل لا حصرَ لها، فأنتَ تقضي على النّور وعلى الحياة كلها. ولكي توقف ذلك، عليكَ أن تقضي على اليأس بواسطة أعمال الرحمة. فإن كنتَ تأسف لمجرّد سماع هذا الكلام، فكم ينبغي عليَّ أنا أن أحزن لأنّني أرى هذه الأمور تحدث. حتى متى ستظلّ في غِنَى وذاكَ يظلّ فقيراً؟ حتى ساعة الموت، أؤكّد لكَ بأنّها ليست بعيدة على الإطلاق، لأن الحياة قصيرةٌ جداً ونهاية كلّ شيء قريبةٌ جداً، حتى أنّ كلَّ شيء يعبر سريعاً وكأنّه ساعة زمن. ما الذي تحتاجه من الكنوز المكدّسة وحشد الخَدَم والمدبّرين ؟ لماذا لا يوجد معك من يتحدّث عنك وعن إحساناتك؟ إنّ الكنز الذي تدّخره ليس لديه صوتٌ يُنادي به لأجلك، بل إنه يجذب إليه اللصوص، أما الإحسان إلى الفقراء فيَصعَد إلى اللّه ويشهد لكَ أمامه، ويجعل حياتك الحاضرة سعيدة وينقذك من خطاياك، ويقدّم لكَ المجد من قِبَل اللّه والكرامة من قِبَل البَشر. لماذا ـ إذن ـ تحرم نفسك مثل هذه الخيرات الكثيرة جداً؟

فأنتَ في الحقيقة لا تُفيدُ الفقراء بل بالأكثر جداً تفيد نفسك. لأنك سوف لا تُحَسِّن حالة الفقراء الحاضرة فقط ، بل ـ بفعل الإحسان ـ تُدخر لنفسكَ مُسبَقاً المجد العتيد وتلك الدّالة أمام اللّه التي أتمنى أن ننالها جَميعاً بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوّة من الآن وإلى الأبد آمين.

المسيحية جميلة ولكن اجمل ما فيها الصليب والمصلوب

لقد كانت الأم غاية في الجمال فقد منحها اللّه جمالاً باهراً يشهد له الجميع وكانت الابنة تفتخر كثيراً بجمال أمها أمام معارفها وأصدقائها ولكن برغم هذا الجمال كانت أيدي الأم مشوهتان بأثر حروق بالغة ولم تتجاسر الابنة يوماً أن تسأل الأم عن سبب الحرق التى أصابت يديها ، ومرت الأيام إلى أن بلغت الفتاة العشرين من عمرها وتقدم أحد الشبان لخطبتها وفي الموعد استقبلتهم الأم، تناست الأم أن تضع قفازات اليدين التى كانت تستخدمهم ، ومرت العزيمة ولكن الفتاة كانت في شدة الغضب.

لماذا يا امي؟، لماذا لم ترتدي القفاز الخاص بأيديكي ، بل لماذا أهملتي يديكي حتى تحترق هكذا يا أمي أنتي جميلة لكن لو أن يديكي ... وها أنا الآن مصرّة أن أعرف سبب الحريق هذا الذي يشوه يديكي.

ذرفت الأم دمعة رغما عنها مخاطبة ابنتها:

ابنتي الحبيبة وأنتي في الثالثة من عمرك شبَّ حريقٌ هائل فى المنزل، إلتَفَّتْ النيران حولكي وأحاطت بكي من كل جانب حتى ملابسك تلامستها النيران مما دفعني إلى أن أضع يدي في وسط النيران وانتشالك منها وأخلع عنك ملابسك المحترقة دون أن أعبأ بآلام النيران وهي تلتهم يديّ فقد كان خلاصك أنتي همي الوحيد لأني أحبك ... أحبك أكثر مني.

وهنا بكت الفتاة بشدة وقبَّلت يدَيّ أمها المشوهتين قائلة عبارتها الخالدة: «**أمي أنتي جميلة ولكن أجمل ما فيكي يديكي**» هكذا يا صديقي فإن يسوع لم يفكر إلا في أن ينتشلنا من خطايانا فقد كان حبّه لنا أكثر من أي شيء .« **فالمسيحية جميلة ولكن اجمل ما فيها الصليب والمصلوب**».

«هل تنسى المرأة رَضيعها فلا ترحَم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء يَنسَيْنَ. وأنا لا أنساكِ» (أش ٤٩:١٥)

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور (٢١)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ

مَن يكون يسوع هذا الذي يقول: «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠) ، وأيضاً: «مَن رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ١٩) ؟

مَن يكون هذا الذي يقول إنه موجود قبل أن يولَد إبراهيم: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو٨: ٥٨) ؟

مَن هذا الذي يُعلِن أن جميع نبوّات العهد القديم الخاصّة بالمسيّا قد أُكمِلَت فيه؟

مَن هذا الذي قال أعداؤه إنه لم يتكلّم أحد قط مثله؟

مَن هذا الذي يتّخذ لنفسه السُّلطة الفائقة ليُعلِن الدينونة النهائيّة على البَشر (مت٢١-٢٣)؟

مَن هذا الذي يساوي صوته بصوت اللّه المتكلّم في العهد القديم ويقول: «سمعتُم أنه قيل للقدماء لا تقتُل..و أما أنا فأقول لكم إن كل مَن يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجِب الحُكم» (مت٥: ٢١ – ٢٢).

مَن هذا الذي لم يَقل: «سوفَ أريكم أو أعلّمكم أو أقودكم إلى الطريق والحق والحياة». بل قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)؟

مَن هذا الذي يقول: «أنا هو الإلف والياء، البداية والنهاية» (رؤ ٢١: ٦).

مَن هذا الذي هدّأ العاصفة على بحر الجليل، وشفى المرضى، وأعادَ الأموات إلى الحياة ؟

مَن هذا الذي نعترف بميلاده كلّ عام ونؤرّخ الزمن بإسمه ٢٠١٤م ؟

مَن هذا الذي يقول عنه القدّيس بولس: «أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني» (في٤: ١٣).

مَن هذا الذي يقول: «إن سألتم شيئاً بإسمي فإنّي أفعله» (يو ١٤: ١٤)؟

مَن هذا الذي يقول: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»؟

مَن هذا الذي يقول: «أنا هو خبز الحياة .. أنا هو نور العالَم .. أنا هو الباب .. أنا هو الراعي الصالح .. أنا هو القيامة والحياة»؟

مَن هذا الذي يقول: «تعالوا إليَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم» (مت١١: ٢٩).

مَن هذا الذي يقول عنه القدّيس بولس: «كلُّ شيء به وله قد خُلق» (كو١: ١٦) وأيضاً: «فيه يحلُّ كلّ ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢: ١٩)؟

مَن يكون هذا؟

يقول البعض إنّه معلّم أخلاقي عظيم، وأعظم معلّم عُرِفَ قاطبةً، ولكنه ليسَ إلهاً. ولكن كيف يمكن أن يكون مجرَّد مُعلِّم وليسَ إلهاً، بينما هو نفسه علَّم أنه هو اللّه ؟ لذلك إن كنتم تقولون إنكم تؤمنون بشخص ما أنه عظيم، فيجب عليكم أن تَقبَلوا تعليمه، ويسوع يُعَلِّم بوضوحٍ أنه هو اللّه. لا يمكنكم أن تَقبلوه كمعلّم ولا تقبلوا تعليمه. وبكلمات أخرى إن الإختيار أمامنا هو هذا: **إمّا أن يكون هو ما يقوله بأنّه اللّه ؟، وإمّا أن يكون مجنوناً**. أيّ إنسان يقف ويَدَّعي ما عمله يسوع، فإمّا أن يكون ما يدّعيه وإمّا أن يكون مُختَلّ العقل.

مَن يكون يسوع إذاً ؟

إنّ آباء الكنيسة الأولى أعطونا الإجابة بتأكيد تام وقاطع: **إله حقّ من إله حَقّ**. هذا هو ما قالوه وأعلنوه في قانون الإيمان النيقاوي.

إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات (متى١٨: ٣)

قوة التوبة

رسالة من القديس يوحنا الذهبي الفم إلى ساقط يائس

ستعود بقوة أعظم

الذين أظهروا عنفًا زائدًا في شرورهم، يُظهرون نفس الغيرة عند عودتهم إلى الحياة الصالحة، وذلك لشعورهم بثقل الدّين العظيم المدينون به. هذا ما أعلنه السيد المسيح عندما حدَّث سمعان عن المرأة الخاطئة: «أنظر هذه المرأة. إني دخلت بيتك وماء لأجل رجليْ لم تعط. وأما هي فقد غسلت رجليَّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قُبْلَةً لم تُقبّلني. وأما هي فمنذ دَخلتْ لم تكف عن تقبيل رجليْ. بزيت لم تدهن رأسي. وأما هي فقد دهنت بالطيب رجليْ. من أجل ذلك أقول لك قد غفرت لها خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرًا. والذي يغفر له قليل يحب قليلاً » (لو٧: ٤٤-٤٧).

لهذا السبب أيضًا، إذ يعرف الشيطان أن الذين ارتكبوا شرورًا كثيرة، عندما يبدأون في التوبة يسلكون فيها بغيرة أعظم، بقدر شعورهم بثقل خطاياهم، لهذا يُخيفهم ويرعبهم لئلا يبدأوا في العمل. فإن ابتدأوا لا يمكن صدّهم بل يلتهبون كالنار تحت فاعلية التوبة. فتصير نفوسهم أنقى من الذهب النقي، مدفوعين بضميرهم وتذكرهم لخطاياهم السابقة، كما لو كانوا مدفوعين بعاصفة قوية نحو سماء الفضيلة.

هذه هي النقطة التي يستفيد منها الذين سقطوا عمن لم يسقطوا، إذ يعملون بنشاط أوفر. . . لكن كما قلت، إن أمكنهم أن يبدأوا، فصعوبة العمل وقسوته هي في وضع القَدَم على البداية، والوصول إلى مدخل التوبة، ودفع العدو وطرحه، ذاك الذي يحنق علينا ويحاربنا. أما بعد الدخول فلا يعرض الشيطان حنقه الزائد بعدما فشل، وسقط حيث كان قويًا. فننال نشاطًا أوفر، ونجرى بسهولة في هذا السباق الحسن. ليتنا نضع أمامنا عودتنا. ليتنا نسرع إلى المدينة التي في السماء، التي فيها سُجلت أسماؤنا، واختُرنا لكي نجد فيها مكانًا كمواطنين.

يأسنا من نفوسنا:

أما **يأسنا من نفوسنا** فلا يقف عند هذا الشر، وهو أن يُغلق أبواب هذه المدينة في وجوهنا، ويجرنا نحو البلادة والاستهتار بل يُسقطنا في الطيش الشيطاني أيضًا. فالسبب الذي لأجله صار الشيطان كما هو عليه، أنه سقط أولاً في اليأس التام، ومن اليأس سقط في الطيش. فعندما تُحرم النفس من خلاصها، **تبدأ تغرق إلى أسفل**. مختارة لنفسها أن تفعل وتقول كل ما يضاد خلاصها. فكما أن المجانين عندما يفقدون سلامة عقلهم، لا يعودون يخافون ولا يخجلون من شيء، بل بدون خوف يتجاسرون على صنع كل شيء، ولو أدى إلى سقوطهم في النار أو ماء عميق أو هوة. فالذين أمسكوا بجنون اليأس من الآن فصاعدًا لا يمكن ضبطهم بل يسيرون مندفعين نحو الرذيلة من كل جانب. وإن لم يأتيهم الموت كحد فاصل لجنونهم وعنفهم، يصنعون لأنفسهم أضرارًا لا حد لها.

لذلك **أتوسل إليك** قبل أن تنحدر بعمق في هذا السُّكْر، أن تسترد حواسك، وترتفع بنفسك، وتنزع عنك تلك النوبة الشيطانية، منفذًا ـ بهدوء وبالتدريج ـ ما لم تستطع أن تنفذه دفعة واحدة. . . ستنال مكافأة مضاعفة إنني **أتوسل إليك** وأطلب منك أن تذكر سمعتك الأولى، وذلك الإيمان الذي كان لك. فإننا نريد أن نراك مرة أخرى على برج الفضيلة، وفي مثابرتك الأولى. أذكر أولئك الذين يتعثرون بسببك، هؤلاء الذين يسقطون ويزداد توانيهم ويأسون من طريق الفضيلة.

لقد خيّم الحزن على رابطة أصدقائك ذو السيرة الحسنة، بينما حلّ الفرح والسرور بين جماعات غير المؤمنين وأولئك الأحداث المتوانين. لكن إن رجعت مرة أخرى إلى استقامتك السابقة، فستنعكس النتيجة. فينتقل عارنا إليهم، بينما نفرح نحن بإيمانك العظيم ناظرينك **متوجًا** وحائزًا على النصرة في صورة أبهى مما كنت عليه. فإن مثل هذه النصرة تجلب شهرة أعظم وسعادة أوفر. إنك لن تنال المكافأة عن إصلاحك فحسب، بل بما ستقدمه من نصائح وتعزيات للآخرين أيضًا، بكونك تصير مضرب المثل لمن يسقط مثلك، فيتشجع ويقوم وتُشفي نفسه. إذن لا تهمل هذه الفرصة المربحة، ولا تسحب أنفسنا إلى الهاوية التي كنا فيها، إننا في حزن، بل دعنا نتنسم الحرية مرة أخرى، وتزول عنا سحابة القنوط التي تساورنا من جهتك.

والآن لنَدَعْ جانبًا موضوع متاعبنا، فإننا نحزن على ما يحلّ بك من المصائب ولكن إن أردت أن تعود إلى رُشْدكَ، وتنظر بوضوح وتسير في الجمهور الملائكي، فإنك ستعتقنا مَن الحزن وتُزيل عنا النصيب الأوفر من الخطية.

شهادة الكتاب المقدس:

أما عن كون أولئك الذين يرجعون بعد التوبة يضيئون بلمعان مضاعف أكثر من أولئك الذين لم يسقطوا، فهذا أتيت به من الكتب المقدسة، فعلى الأقل أولئك العشارين والزواني ورثوا الملكوت قبل كثير من الباقين. . .

توبة واعتراف بلا رجاء:

إنني أعرف حقًا انك تعترف بخطاياك، وتسمي نفسك بائسًا بلا حدود. لكن ليس هذا كل ما أطلبه منك، بل اشتاق أن تتيقن من أنك تتبرّر. لأنه طالما تقدم هذا الاعتراف دون أن تشعر بفائدته، فحتى إن أدنت نفسك، فإنك لن تتخلص من الخطايا المقبلة. فإنه لا يستطيع أحد أن يمارس شيئًا بغيرة وبطريقة مفيدة ما لم يقتنع أولاً بفائدتها.

فالزارع بعدما يبذر الحبوب، لن يحصد شيئًا ما لم ينتظر المحصول. لأنه من يَقْبل أن يُتعب نفسه عبثًا، مادام سوف لا يربح شيئًا من تعبه؟! هكذا من يزرع كلمات ودموعًا واعترافًا، إن لم يصنع هذا **برجاء حسن** لن يستطيع أن يتخلص من كونه مخطئًا، **إذ لا يزال يخطئ بخطية اليأس**. . .

لا تقف عند حدِّ اتّهام نفسك بخطاياك، بل لتكُنْ كمن يريد أن يتبرّر بالتوبة. لأنه بذلك يمكنك أن تُخجل نفسك المعترفة حتى لا تعود تسقط في الخطايا مرة أخرى. لأن اتهام الإنسان لنفسه بعنف واعترافه بأنه خاطئ أمر شائع حتى بين غير المؤمنين أيضًا. فكثيرون ممن يعملون في المسارح، من رجال ونساء، هؤلاء الذين اعتادوا أن يقوموا بأعمال معيبة، يدعون أنفسهم بائسين، لكنهم لا يقولون هذا بقصد مفيد. فهذا لا أدعوه اعترافًا، لأن إعلانهم عن خطاياهم لم **يصحبه تأنيب الضمير ولا دموع حارة ولا تغيير في السلوك** إنما يقدم البعض هذا الاعتراف لمجرد نوال شهرة من السامعين لصراحتهم في الحديث. .فالذين هم تحت تأثير اليأس سقطوا في حالة من عدم الحساسية، فيستهينون بنظرة أصدقائهم لهم، كاشفين لهم أفعالهم الشريرة كما لو كانوا يتحدثون عن خطايا الآخرين. . .

وما هي جذور اليأس وأصله؟انه **التراخي**. إننا لا يجب أن ندعو التراخي جذور اليأس فحسب، بل هو مربيته ووالدته. . . **فالتراخي يؤدى إلى اليأس**، وهو في نفس الوقت يزداد باليأس. وكل منهما يقوى الآخر في تبادُل شرّير . . . فإن قطعنا أحدهما إلى أجزاء، فبسهولة نقدر على الثاني. فَمن ناحية نجد أن الإنسان غير التراخي لن يسقط في اليأس.ومن ناحية أخرى نرى أن الذي يتقوى بالرجاء الحسن ولا ييأس من نفسه، لن يقدر أن يسقط في التراخي . . . ■

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦٣)

ثالثاً: المملكة والتنظيمات العسكريّة:

إتجه سليمان لتأمين مملكته بأن يكون لها حماية عسكرية ودفاعات حصينة، لذلك سعى أن يكون له جيش قوي منظّم، ثمّ عيّن بناياهو بن يهوياداع قائداً للجيش بدلاً من يوآب وأقام بجانب الجيش العامل قوّات خاصّة للحرس الملكي (١أخ٢٧:١-١٥)، وفي إعادة تنظيم الجيش إمتلك حماية حربيّة ضخمة عمادها ١٤٠٠ عربة حربيّة و ١٢٠٠٠ فارس مدرّب (١مل٤:٢٦ ، ٢أخ٩:٢٥). وعلى صعيد آخر إهتمّ سليمان ببناء الأسوار والحصون حول المدن ، فحصَّن أورشليم عاصمة المملكة بأن شيَّدَ حولها سوراً لحمايتها وسَدَّ الشقوق والفتحات التي بالأسوار وبنى القلعة (١مل٣:١، ٩ :١٥، ١١:٧٢)، كما إهتم بحماية المدن الكبرى فبنى ثلاثة حصون هامّة في حاصور ومجدّو وجازر كمراكز دفاعية إستراتيجية للمملكة، فكانت حاصور تتحكّم في طرق الشمال، ومجدو في الممر الرئيسي لسلسلة جبال الكرمل، وجازر تتحكم في مدخل الطريق الممتد مباشرة من الشاطىء إلى مرتفعات يهوذا ويصل إلى أورشليم وبيت حورون، وحَصَّنَ مُدُناً أخرى مثل بعلة (قرية يعاريم) لتكون قاعدة حصينة لحراسة الحدود الغربيّة، وساعدت تامار على تثبيت سلطانه على أدوم فهي تشرف على الطرق المؤديّة إلى مناجم النحاس بوادي العربة وميناء عصيون جابر، وحَكَمَ سليمان مملكة هادئة وطوال مدّة حكمه لم تتعرّض المملكة أي حروب خارجيّة ولعلّ ذلك هو معنى ما جاء عن مملكته: «وكان يهوذا وإسرائيل كثيرين كالرمل الذي على البحر في الكثرة يأكلون ويشربون ويفرحون»، «وسكن يهوذا وإسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان إلى بئر سبع كل أيام سليمان» (١مل٤:٢٠.٢٥)، وفيه المعنى المثالي للسلام في المملكة.

رابعاً: المملكة والمشاريع العمرانيّة:

ورثَ سليمان عن أبيه إمبراطوريّة واسعة وثروة طائلة ولم تعترض خطته في التعمير الداخلي أي حروب، فَصَبَّ كلّ ثروات الإمبراطوريّة في مشروعاته العمرانية وكان طموحاً في مشاريعه والتي كان لها الفنّ المعماري المتميّز ، واستطاع أن يحوّل أورشليم إلى عاصمة جديرة بمملكة واسعة وقويّة وكان أعظم مشروعاته الهيكل.

(أ) هيكل سليمان:

جمع داود المواد اللازمة لبناء الهيكل وجهّز الإستعدادات الضخمة لذلك ووضع رسوماته، وشرع سليمان الملك الشّاب في البناء وبمقتضى معاهدة بينه وبين **حيرام ملك صور** المدينة الفينيقيّة ذات الشهرة الواسعة في فنّ البناء فزوّده حيرام بالمهندسين الحاذقين والعمّال المهرة من النجارين والبنائين والنحاتين ، كما أمدّه بأخشاب السرو والأرز، وبنى سليمان الهيكل على جبل الموريا (تك٢٢:٢) في مكان بيدر أرنان اليبوسي (٢أخ٣:١) فوق قبة صخريّة، وكان يتجه إلى الشرق وتميّز بالفن الفينيقي في عمارته وزخارفه الرائعة، وقد بنى في **السنة ٤٨٠ للخروج** وهي السنة الرابعة لمُلك سليمان، وتمّ البناء بعد سبع سنوات (١مل٦) ودَشَّنَ في **سنة ٩٦٠ ق.م**.

وبنى على رسم خيمة الإجتماع مع مضاعفة المقاييس فكانت مقاييس الهيكل في الطول ، والعرض، والإرتفاع هي ٩٠ قدماً (٢٧ متراً) ، ٣٥ قدماً (٩متراً) ، ٤٥ قدماً (١٣.٥متراً). وكان الهيكل بناء صغيراً إذا ما قورن بهياكل الوثنيين الضخمة لكنه كان تحفة في الإبداع الفني والثراء فكانت تُغطيه كميات هائلة من الذهب الفاخر، فلم يكن له نظير في فخامته أو غناه، وبعد الإنتهاء من تدشينه ، أُحضرَ إليه تابوت الرب من القلعة وَوُضع في المَقدس وأصبحت أورشَليم هي مدينة الربّ المقدّسة، وظلّ هذا الهيكل قائماً مدة أربعة قرون حيث هاجم نبوخذنصّر المدينة وخرّب الهيكل **سنة ٥٨٦ ق.م.**

الإفخارستيا عند القديس كيرللس الإسكندري

لكَيْ يُبيدَ بالموت ذَاكَ الَّذي لَهُ سُلْطَانُ الموتِ، أَيْ إِبْلِيس.

فالمسيح كلمة الله هو الحياة ومعطي الحياة

انه أمرٌ يملأنا بكل بركة أن نصير شركاء المسيح بالذهن والحواس، لأنه يحل فينا أولاً بالروح القدس فنصير مسكنه بحسب ما قاله في القديم أحد القديسين : «لأني سأسكن فيهم وأقودهم وأكون لهم الهاً، وهم يكونون لي شعباً» (حز ٣٧:٢٧)، لكنه هو أيضاً يحلّ داخلنا بطريقة أخرى بواسطة مشاركتنا في قربان التقدمات غير الدموية التي نحتفل بها في الكنائس، اذ قد تسلمنا منه النموذج الخلاصي للطقس مثلما يرينا بوضوح الانجيلي المبارك في النص الذي قرأناه منذ قليل (لو٢٢:١٧-٢٢)، فهو يخبرنا أنه: «تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: خُذُوا هذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ» (لو٢٢:١٧).

وبتقديمه الشكر، الذي يقصد به التحدث مع الله الآب في صيغة صلاة، فانه يعني بالنسبة له أنه، إن جاز القول، يشارك ويساهم مع الآب في مسرّته الصالحة في منحه لنا البركة المحيية التي أُسبغت علينا حينئذ، لأن كل نعمة وكل مَوهبة تامة تأتي الينا من الآب بالابن في الروح القدس. واذن فهذا العمل كان نموذجاً لنا لكي نستخدمه في الصلاة التي ينبغي أن تُقدم، كلما بدأنا أن نضع أمامه نعمة «**التقدمة السرية المحيية**»، وتبعاً لذلك فاننا اعتدنا أن نفعل هذا، لأننا اذ نقدم أولاً تشكراتنا مقدمين تسابيحنا للّه الآب ومعه الابن والروح القدس، فاننا نقترب هكذا من الموائد المقدسة مؤمنين أن ننال حياة وبركة، روحيّاً وجسديّاً، لأننا نستقبل في داخلنا كلمة الآب الذي صار انساناً لأجلنا والذي هو **الحياة ومعطي الحياة**.

لذلك فلنسأل على قدر استطاعتنا، ما هو الرأي الذي نعتقد به عن هذا السرّ ؟ لأنه واجب علينا أن نكون «مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِينَا» (١بط٣:١٥) كما يقول الحكيم بطرس، لأن «اله الكل خلق كل الأشياء للخلود، وبدايات العالم كانت حياة، لكن بحسد ابليس دخل الموت الي العالم» (حك ٢:٢٤)، فقد كانت تلك **الحية المتمردة** هي التي قادت الانسان الأول الى تعدّي الوصية والى العصيان، والتي بواسطتها سقط تحت اللعنة الالهية، وفي شبكة الموت، فقد قيل له: «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك٣:١٩)، فهل كان من الصواب أن ذلك (الانسان) الذي **خُلق للحياة والخلود**، **يصير مائتاً ومحكوماً عليه بالموت** بدون أية امكانية للهروب ؟ هل ينبغي أن يكون **حسد ابليس** أكثر قوة وثباتاً من **إرادة الله** ؟ ليس الأمر هكذا، بل ان **حسد ابليس** قد أخفق تماماً، **ورحمة الخالق** قد فاقت النتائج الشريرة لخبثة، فقد أعطى اللّه معونة لأولئك الذين على الأرض.

فماذا اذن كانت الطريقة التي ساعدهم بها ؟ انها طريقة عظيمة بالحق ورائعة وجديرة باللّه، نعم جديرة لأقصى درجة بالعقل الأعلى (اللّه)، لأن اللّه الآب هو حياة بطبيعته، ولكونه هو وحده حياة، فقد جعل الابن الذي هو أيضاً حياة أن يضيئ ويشرق. لأنه لا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك مع ذاك الذي هو الكلمة الذي صدر جوهرياً من الحياة، لأنه يلزم، أقول يلزم، أن يكون هو نفسه أيضاً حياة، لكونه هو الذي نبع من الحياة، نبع من ذاك الذي وَلَدَهُ.

لذلك فان اللّه الآب يعطي الحياة لكل الأشياء بالابن في الروح القدس، وكل ما يوجد ويتنفس في السماء وعلى الأرض انما يأخذ وجوده وحياته من اللّه الآب بالابن في الروح القدس، لذلك لا طبيعة الملائكة ولا أي شيء آخر مهما كان، مما هو مخلوق، ولا أي شيء جاء من عدم الوجود الى الوجود، يمتلك حياة (في ذاته) كثمرة لطبيعته الخاصة، بينما على العكس فالحياة تنشأ، كما قلت، من الجوهر الذي يفوق الكل وهو أمر خاص به وحده أن تكون له القدرة على اعطاء حياة، وذلك بسبب أنه هو بالطبيعة «**الحياة**».

اذن فكيف يمكن للانسان على الارض الذي هو ملتحف بالموت أن يعود الى عدم الفساد (عدم الفناء)؟ أجيب بأنه يلزم لهذا الجسد المائت أن يصير شريكاً للقوّة المحيية التي تأتي من اللّه. لكن قوة اللّه الآب المحيية هي **الكلمة الوحيد الجنس**، وهو الذي أرسله لنا (الآب) كمخلص ومحرّر. أما كيف أرسله لنا، فهذا ما يخبرنا به بوضوح يوحنا الانجيلي المبارك عندما يقول «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ فِينَا» (يو١:١٤)، لكنه صار جسداً دون أن يَخضع لأي تغيُّر أو تحوّل الى ما لم يكونه، ودون أن يتوقف عن أن يكون هو **الكلمة** لأنه لا يعرف ما معنى أن يعاني ظلّ التغيير، بل بالحريّ بكونه وُلِدَ

بالجسد من امرأة وأخذ لنفسه ذلك الجسد منها، لكي اذ قد غرس نفسه فينا باتحاد لا يقبل الانفصال، يمكنه أن يرفعنا فوق سلطان الموت والانحلال كليهما معاً ، وبولس هو الشاهد لنا، حيث يقول عنه وعنا: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ - خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ - كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. لأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (عب٢ :١٤-١٧) أي يشبهنا، لأنه صار مثلنا وكَسَى ذاته بجسدنا، لكي ما باقامته اياه (الجسد) من الموت، يعدّ من الآن فصاعداً طريقاً يمكن به للجسد الذي وُضِعَ (أُذِلَ) حتى الموت، أن يعود من جديد الى عدم الفساد (عدم الفناء)، لأننا متحدون به مثلما كنا أيضاً متحدين بآدم، عندما جلب على نفسه عقوبة الموت. وبولس يشهد لهذا اذ كتب هكذا في أحدى المرات «فَإِنَّهُ إِذ الموت بِإِنْسَان، بِإِنْسَان أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ» (١كو١٥:٢١) ويقول أيضاً: «لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الجميع ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الجميع» (١كو ١٥ :٢٢)، لذلك فان الكلمة، اذ وحَّدَ مع ذاته ذلك الجسد الذي كان خاضعاً للموت، **فلكونه اللّه والحياة**، فقد طرد منه **الفساد (الانحلال)**، وجعله أيضاً يصير مصدر الحياة، لأنه هكذا ينبغي أن يكون جسد ذاك الذي هو الحياة.

ولا تكونوا غير مصدقين لما قلته بل بالحريّ اقبلوا الكلمة بايمان بعد أن جمعتُ براهين بأمثلة قليلة، عندما تطرحون قطعة خبز في خمر أو زيت أو سائل آخر فستجدون أنها صارت تحمل خاصية ذلك السائل الخاص، وعندما يوضع الحديد في النار فانه يصير ممتلئاً بكل فاعليتها، وبينما هو بالطبيعة حديد لكنه يعمل بقوة النار، وهكذا **كلمة اللّه المحيي** اذ قد وحَّدَ نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط) ، فقد منحه قوة اعطاء الحياة، وهو نفسه يؤكد لنا هذا بقوله «الحقّ الحقّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْزُ الحياة.» (يو٦:٤٧-٤٨) وأيضاً «أَنَا هُوَ الخبز الحيّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الخبز يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. والخبزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ . . . الحقّ

القديس كيرللس الاسكندري

الحقّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الحيّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلُنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي.» (يو٦:٥١ و٥٣-٥٧) لذلك عندما نأكل الجسد المقدس الذي للمسيح مخلصنا جميعاً ونشرب دمه الثمين، تكون لنا حياة فينا، بكوننا جُعلنا واحداً معه، كائنين فيه ومقتنين له أيضاً فينا. لا تدعو أحداً من أولئك الذين اعتادوا عدم التصديق أن يقول: «اذن حيث ان كلمة اللّه لكونه بالطبيعة الحياة وهو يقيم فينا أيضاً فهل جسد كل واحد منا سيمنح أيضاً القوة لاعطاء الحياة؟»، من يقول هذا فليعلم بالأحرى أنه شيء مختلف تماماً بين أن يكون الابن فينا بمشاركة نسبيّة وبين أن يصير هو نفسه جسداً، أي أن يجعل ذلك الجسد الذي أُخذ من العذراء القديسة خاصاً له (أي يجعله جسده الخاص)، لأنه لا يُقال عنه انه صار متجسداً او صار جسداً، بوجوده فينا، بل بالحريّ فان هذا حدث مرة واحدة عندما صار انساناً دون أن يتوقف عن أن يكون الهاً، لذلك فإنّ جسد الكلمة كان هو ذاك الذي اتخذه لنفسه من العذراء القديسة وجعله واحداً معه، أما كيف أو بأية طريقة حدث هذا، فهو أمر آخر لا يمكننا أن نخبر به، لأنه أمر غير قابل للشرح ويفوق تماماً قدرات العقل وكيفية هذا الاتحاد، هي معروفة له هو وحده فقط. لذلك كان يليق به أن يكون فينا الهياً بالروح القدس، وكذلك أيضاً ان جاز القول يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدس ودمه الثمين، الذين نقتنيهما أيضاً كافخارستيا معطية للحياة في هيئة الخبز والخمر، اذ لئلا نرتعب برؤيتنا جسداً ودماً (بصورة حسية) فعليّة، موضوعين على الموائد المقدسة في كنائسنا، فان اللّه اذ وضع (أنزل) ذاته الى مستوى ضعفاتنا، فانه يسكب في الأشياء الموضوعة أمامنا قوة الحياة، ويحولها الى فاعليّة جسده، لكي ما نأخذها لشركة معطية للحياة، وكي يوجد فينا جسد (ذاك الذي هو) الحياة، كبذرة تنتج الحياة . الذي ينبغي للثالوث القدوس كلّ تمجيد وإكرام وسجود، إلى دهر الداهرين . آمين

«الجميع زاغوا وفسدوا معاً.ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو٣:١٢) .... «فإنّي أُسَرُّ بناموس اللّه بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرَى ناموساً آخَرَ في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويَسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقيُّ! مَن يُنقذني من جسد هذا الموت؟ أشكُرُ اللّه بيسوع المسيح ربّنا ! إذاً أنا نفسي بذهني أخدمُ ناموس اللّه، ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو ٧:٢٢-٢٥) **فقط المسيح معطي الحياة**

الجميع يرزحون تحت نير الخطيئة

يَـا واعظاً قَـامَ لاحْتِسابِ ... يَزْجُـرُ قَوماً عنِ الذُّنوبِ
تَنْهَـى وأَنتَ السَّـقمُ حَقّاً ... هـذا مـنَ المُنْكَـرِ العَجيبِ
لَوْ كُنْتَ أَصْلَحْتَ قَبْلَ هذا ... غَيِّـكَ أو تُبـتَ من قَريـبِ
كانَ لِـمَـا قُلتَ يَا حَبيبي ... مَوقِعَ صِدْقٍ مِنَ القُلُوبِ
تَنْهَى عَنِ الغَيِّ والتَّمَادي ... وأنتَ في النَّهيِ كالمُريـبِ

راعي الخراف العظيم ربّنا يسوع المسيح

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الفصل الثامن : دليل عناية الله بنا أنه أعطانا الناموس الطبيعي والناموس المكتوب، وأخيراً صار أساس كلّ الخيرات في نوال النعمة بمجيء الإبن الوحيد.

الفصل الثامن

دليل عناية الله بنا أنه أعطانا الناموس الطبيعي والناموس المكتوب، وأخيراً صار أساس كلّ الخيرات في نوال النعمة بمجيء الإبن الوحيد.

١ ـ لقد وهبنا اللّه ناموساً مكتوباً لنَفعنا وأرسَلَ الأنبياء وصَنَعَ المعجزات وقبل كل هذا قدّم للإنسانَ بعَد خلقَته ناموساً طبيعيّاً لخدمته، يقوم بدور القبطان في السفينة، وَكَاللجام بالنسبة للحصان، مُخضعاً له تفكيرنا.

هذا عرَفه هَابيل بينما لم يكن قد وُجدَت بعد كتب مقدّسة أو أنبياء أو رُسل أو أي تعليم مُعطَى بناموسٍ مكتوب، بل كان له (فقط) الناموس الطبيعي.

٢ ـ وعَرَفَه قايين أيضاً. عرفه الإثنان وعرفا سيادته عليهما، لكنهما لم يسيرا في ذات الطريق ؛ بل اختار أحدهما طريق الرذيلة والآخر طريق الفضيلة. ومع هذا لم يترك اللّه الإنسان في هذا الموقف، لكنه إذ سقط جذبه وأعاده إلى الطريق المستقيم، وأحاطه بحبّه وأخذ يحثّه وينصحه، كما أنذره بالخوفِ والرّعدة. كان اللّه يعلّمه ويدرّبه.

٣ ـ لكن حيث أن غالبية البشر خانوا هذه النعمة العظيمة، أي الانتفاع مما يلقنه إيانا الناموس الطبيعي ـ حتى في هذه اللحظة ـ فإن اللّه لم يترك البشرية ولا أسلمها إلى الهلاك الأبدي (حرفيّاً الهلاك الشامل)، بل انتظر عليها (وصبر) وأخذ يعلّمها ويحثّها بأعماله وعطاياه وتأديباته، بالخليقة ذاتها التي تتجدّد كل يوم وتؤدي مهمتها المعتادة، بالأشياء التي تتم مغايرة للترتيب الطبيعي، وبأبرار العصور الأولى.

٤ ـ إنه في الواقع نقل هؤلاء الأبرار الجديرين بالإعجاب والممتلئين إيماناً من موضعٍ إلى آخر، فعلى سبيل المثال نُقلَ إبراهيم أولاً إلى أرض كنعان ثمّ مصر، ويعقوب إلى سوريا (الأصح العراق)، ثم موسى كان في مصر ، والثلاثة فتية في بابل، ،دانيال وحزقيال (أيضاً في بابل) وارميا في مصر ، وأعطى ناموساً وأرسل أنبياء، وكان يضرب مؤدّباً ثم يُرخي صرامته، ويُسلِّم إلى العبودية ثم يمنح العُتقَ ولم يَكُفَّ عن تدبير الأمور لصالحنا منذ البداية إلى النهاية.

٥ ـ ولكنه لم يكتَف بالتعليم المُعطَى بواسطة الناموس الطبيعي (الذي يأتي بالناس إلى معرفة اللّه)، لكن حيث أن كثيرٌ من البَشر لم يجنوا أيّة منفعة بسبب جهلهم، فإنّه افتتح طُرق أخرى لتعليمهم، وأخيراً كلّل إحساناته **بإرسال ابنه الوحيد**.

٦ ـ إن الإبن المساوي للآب في الجوهر صار مثلي! كان يسير على الأرض ويختلط بالبشر ويصنع عجائبه بينهم، صانعاً مواعيداً بينهم، وأتممها بينهم، ومنحهم هنا على الأرض بعض من هذه الخيرات، وحفظ الأخرى للدهر الآتي. والبرهان على أنه سيعطيها، هو المعجزات التي أتممها عندما كان لا يزال على الأرض، وبعد ذلك إتمام ما قد سبق أن أعلنه «من يتكلم بجبروت الرب؟ ويخبّر بجميع تماجيده» (مز١٠٥:٢)، من لا يندهش؟ من لا يقف مرتعداً أمام اهتمامه الذي لا يوصف (بنا)، إذ يتأمل كيف أن اللّه **أسلم ابنه الوحيد للموت من أجل عبيدٍ جاحدين؟! بَذَلَه إلى موت اللعنة والهزء، موت المجرمين؟!**

٧ ـ لقد سُمِّرَ على صليبٍ مرتفع وبصقوا على وجهه! ضربوه بالعصي ولطموه! استهزأوا به وإذ شفقوا به كفّنوه وختموا قبره!

هذا كلّه احتمله من اجلك! من اجل حبه المملوء رأفة، حتى يعتقك من عبودية الخطية، ويكسر سلطان إبليس ويحطّم قيود الموت، ويفتح لنا أبواب السماء، ويزيل اللعنة، ويمحو الخطية الأولى ويعلّمك الصبر، ويقودك إلى الاحتمال فلا تتضايق من أمور العالم، لا موت ولا لعنات ولا شتائم ولا هزء ولا ضربات ولا مكائد عدو ولا افتراءات ولا هجوم ولا اتهامات أو إساءة ظن ولا شيء من هذا القبيل.

٨ ـ لقد اجتاز هو هذا كله مشاركاً لكَ كل ألم، غالباً إياها بأسلوب عجيب، حتى يعلمك ويرشدك ألا تخاف شيئاً من هذه المحن. ولَم يكتَف بهذا، بل إذ صَعدَ إلى السموات وهبنا نعمة روحه القدوس العجيبة، مُرسلاً تلاميذه ليكونوا في (حقل) خدمته.

٩ ـ وإذ ترى أن هؤلاء الكارزين بالحياة تألموا كثيراً، ضُربوا بالعصي، وأُهينوا وطُرحوا في البحار وعانوا من الجوع والعطش، وهم محاطين كلّ يومَ بالضيقة وعائشين وسط أخطار يومية مميتة، وقد سمح لهم بهذا كله من أجلك ومن أجل صلاحهَ المملوء عناية بك. من أجلك يا إنسان أَعَدَّ الملكوت! ولأجلك أعَدَّ خيرات لا توصف ونصيباً محفوظاً في السموات وحياة لا مثيل لها مملوءة غِنَىً وسعادة لا يُنطَق بها.

١٠ ـ بيّنا لك براهين كثيرة على عنايته في العهد القديم والجديد، في الحياة الحاضرة والآتية، فيما سيصير وما هو كائن،

فيما يتم كل يوم، فيما يليه وحتى فيما هو دائم في الأمور الجسدية والروحية، فهل تشك بينما أنت ترى في كل جانب سحبٌ من البراهين التي تعلن عنايته؟

١١ ـ كلا، لا تَشكّ بل ثق أنه يمارس عنايته وتَيَقّن من هذا. لا تضع بعد أسئلة سخَيفة، عالماً تماماً أن لك سيّد أكثر عطفاً عليك من الأب وأعظم حنواً من الأم وأكثر حُبّاً من العريس أو العروس المتيّمة، مُفكّراً أن راحته هي في خلاصك، ويبتهج هو بخلاصك أعظم من ابتهاجك وأنت هارب من الأخطار والموت، وقد برهنت لك (هذا) بمثال يونان، مظهرين (لك) كل أشكال الحبّ.

١٢ ـ حب الأب لأولاده والأم لصغارها والبستانيّ لنباتاته والمهندس المعماري لعمله والعريس الحديث الزّواج لعروسه والشاب للفتاة، حبّه يريد إبعاد البلايا عنك بقدر بُعد المشرق عن المغرب، وبقدر علوّ السماء عن الأرض. هذا أيضاً أوضحناه ، وأفضل جداً ليس فقط بقدر هذا، بل أيضاً وأكثر من هذا كما أظهرنا في استثارة الفكر حول هذه النقطة وتعهدك بعدم التوقّف عند الصور (التشبيهيّة) بل يتخطى البراهين (العقلية) لأنه يستحيل التعبير عن عنايته وحنانه غير المدرَك وصلاحه الذي لا يُعَبّر عنه وحبّه الذي لا يُستقصَى.

١٣ ـ الآن وقد عرفت هذه الأمور جميعها التي من خلالها يعلن اللّه لك عن ذاته وأعماله التي صنعها وسيصنعها معك، فلا تسأل أسئلة فضولية ولا تتكبّر ولا تَقُل: لماذا هذا وما سبب ذاك؟ ألا يكون هذا جنوناً وامتلاءً بكبرياء مُفرطة واختلال عقلي؟ فبينما لا يكابر أحد مع الطبيب الذي يجرِي لهَ الجراحة ويكوي ويوصي بأدوية مرّة، حتى وإن كان الطبيب عبداً، فإن سيّده يحتمله في صمت بل ويشكره على كَيِّه (المؤلم) وعلى جراحته وأدويته (المرّة)، وهذا رغم أن المستقبل غير مضمون إذ أن مرضَى كثيرين ماتوا على أيدي أطباء ؛ فبينما تتم الطاعة بكثير من الخضوع للطبيب عندما يتصرف هكذا، وبينما نفس الشيء يتمّ مع القبطان والمهندس المعماري ومع كل من لهم كفاءات في مختلف الأنشطة، فكم بالأولى يليق بالإنسان أن يخضع للديّان والمهندس صاحب السلطان على كل شيء ؟!

١٤ ـ إن من الغباء أن يستفسر إنسان جاهل بلا خبرة من المهندس عن أسباب كل ما يصنعه، هكذا أيضاً من الغباء وضع أسئلة طائشة عن هذه الحكمة العجيبة غير المنطوق بها ولا محدودة، والبحث لماذا حدث هذا أو ذاك، ونحن متأكدون تماماً من حكمة صانعه التي لا تخطىء، وصلاحه اللانهائي وعنايته التي لا توصَف، فكل ما يأتي منه موجّه إلى هَدَف سامي، بشرط أن نشاطنا لا يعيقه، إذ لا يريد هلاك أحد بل خلاصه.

أليس هذا انحراف في الفكر يفوق كل جنون أن نبدأ في أن نسأل ذاك الذي يريد ويستطيع أن يخلصنا كلنا ولا ننتظر (لنرى) حتى نهاية الأحداث؟ .

كان يقود سيارته راجعاً إلى بيته في المساء، في طريق ريفي مزدوج الاتجاه. كانت فرصة العمل في هذا الجانب الغربي الصغير من المدينة في حالة يُرثَى لها، كمثل السيارة البونتياك التي يقودها! ولكنه لم يَكُفّ أبداً من النظر أمامه. لقد أُغْلِقَ المصنع الذي كان يعمل به أبوابه، والآن أصبح عاطلاً عن العمل. وفي هذا الصقيع المُوجع جداً كان يرتجف برداً، والآن ها هو في طريقه إلى الرجوع لمنزله.الطريق كان موحشاً، ولم يكن من سبب يدفع أي إنسان أن يسير فيه، إلاّ إذا كان مُسافراً. وقد غادر معظم أصدقائه المدينة فعلاً. كان لديهم عائلاتهم الذين لابدّ من إطعامهم ولهم أحلامهم التي لابد من أن تتحقّق. أما هو فما زال قابعاً في المدينة لم يغادرها. ففي هذه المدينة دفن والدته ووالده. لقد وُلد هنا وهو يعرف المدينة جيداً. إنه يستطيع أن ينزل المدينة مُغمض العينين، ثم يُخبرك ماذا يوجد في الجانب الآخر، بالرغم من أن الكشّاف الأمامي للسيارة مُعطّل عن الإضاءة، لكن هذا هو ما استطاع الحصول عليه.

كان الوقت على وشك الإظلام بعد الغروب، ورذاذ الجليد ها هو يهبط على الأرض. وكان من الملائم أن يتحرّك بسرعة. إنه لم يَرَ السيدة العجوز واقفةً على جانب الطريق. ولكنه استطاع الآن أن يراها واقفة ولابد أنها تطلب المعونة. في عتمة نهاية اليوم استطاع بالكاد أن يرى أنها محتاجة إلى المعونة. وهكذا أبطأ السرعة واستطاع أن يقف بجانب سيارتها المرسيدس، وخرج من سيارته، وظل مُحرِّك سيارته البونتياك يقرقع حينما اقترب منها.

ولكن مع الابتسامة التي ارتسمت على وجهه، ساورها القلق. لم يقف أحدٌ ليُقدِّم لها يد المعونة طيلة الساعة السابقة. هل هو قادم ليؤذيها؟ إنه لا يبدو على وجهه الأمان، إنه يبدو فقيراً وجائعاً. واستطاع هو أن يرى على وجهها كيف أنها خائفة، وهي واقفة خارج سيارتها هنا في هذا البرد. لقد عرف كيف هي تحس بالخوف. إن الارتجاف برداً هو الذي يجعلها تخاف منه. وبادرها بالقول:– «إني هنا لأُقدِّم لك يد المعونة يا أُمي. لماذا لا تخلدين بالجلوس داخل سيارتك التيَ قد تكون أكثر دفئا؟ وبالمناسبة أنا اسمي **جو**».

والآن، كان كل ما عندها هو إطار السيارة الذي فرغ منه الهواء، ولكن مشكلة بسيطة كهذه تتحوَّل لمثل هذه السيدة العجوز إلى مشكلة سيِّئة. زحف «**جو**» إلى أسفل السيارة يبحث عن مكان ليضع مِبْسَم المنفاخ، وأخذ يلوي بمفاصل أصابعه المِبْسَم المرة تلو المرة. ولكنه في النهاية استطاع أن يُغيِّر إطار السيارة. لكن ملابسه اتَّسخت ويداه تجرَّحتا. ثم أخذ يربط صواميل وجه الإطار المعدني، وأما هي فقد أنزلت نافذة السيارة وبدأت تتكلَّم معه.قالت له إنها من مدينة «سانت لويز»، وكانت تعبُر الطريق حينما فرَّغ الإطار الهواء. وعبَّرت له عن عجزها عن الشُّكر له بما فيه الكفاية لأنه

تتمة هذه القصة الواقعيّة (سلسلة المحبة) ص ٢٣

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثامنة في العمّاد في الآب «ضابط الكل»

«أيها السيد الربّ، ها انك صنعت السماوات والأرض بقوّتك العظيمة وذراعك المبسوطة، وليس عليك أمرٌ عسير ... أنت الإله العظيم الجبّار الذي ربّ الجنود اسمه»
(ارميا ٣٢: ١٧-١٨)

١) ـ اعداء قدرة اللّه

إننا بإيماننا بإله واحد، نهدم كل ضلال في تعدّد الآلهة. ونكافح بهذا السلاحً ضدّ اليونانيين، وضدّ كُل قوّة معادية من الهراطقة. وعندما نضيف «بإله واحد آب» ، نقاوم أهل الختان الذين يُنكرون أن الابن الوحيدً هو ابن اللّه. ولكننا اذ نقول إنه «آب» ـ كما شرحنا بالأمس ، وقبل أن نفسّر ما يخصّ ربنا يسوع المسيح ـ نوضح انه أبٌ للابن، حتى عندما نفكّر أنه إله نفكّر كذلك ان له ابن ، ثم نضيف: إنه «ضابط الكل»، مؤكدين هذا بسبب اليهود واليونانيين وجميع الهراطقة.

٢) ـ قدرة اللّه في السماء كما على الأرض

فمن جهة اليونانيين، يقول البعض إن اللّه نفسُ العالم، والبعض الآخر إنّ قدرته تمتدّ الى السماء فقط دون الارض. وقد جاراهم آخرون في ضلالهم، مفسّرين خطأ هذه العبارة: «... وحقّك إلى السحاب» (مز٣٥: ٦) ، فتجاسروا على القول بأن عناية اللّه تحدّها السماء والغيوم، وأن اللّه غريبٌ عن كل ما يحدث على الأرض، ناسين المزمور القائل: «إن صعدتُ الى السماء فانت هناك وان نزلتُ الى الجحيم فانتَ حاضر» (مز١٣٥: ٨). لأنه إن لم يكن ما هو أعلى من السماء وأدنى من الارض غير الجحيم ، فالذي يوجد في عمق الجحيم يمتدّ سلطانه أيضاً على الأرض.

٣) ـ اللّه سيّد الروح والجسد

إن الهراطقة ـ كما سبق وقلنا ـ لا يعترفون بوجود إله قدير. والقدير هو الذي يستطيع كل شيء ويتسلّط على كلّ شيءً، بينما هم يقولون بوجود خالق للنفس وآخر للجسد، وكلاهما غير كاملين، اذ ينقص الواحد ما يملك الثاني. إذ كيف يكون قديراً مَن كان له سلطان على النفس دون الجسد؟ ومَن كان له سلطان على الأجساد دون الأرواح كيف يكون قديراً؟ لكن الربّ يدحض هؤلاء بقوله: «بل خافوا بالحريّ منَ الذي يقدرُ أن يُهلكَ النفس والجسد كليهما في جهنّم» (متى١٠: ٢٨). لأنه لو لم يكنَ لأبي ربنا يسوع المسيح سلطانٌ عليهما، لَـمَـا استطاع أن يحكم عليهما بالعذاب. إذ كيف يمكنه أن يعاقب ويرسل الى النار الأبدية جسداً ليس له سلطانٌ عليه؟ «إن لم يربط القويَّ اولاً ويدمّر اسلحته؟» (متى١٢: ٢٩).

٤) ـ لماذا يسمح اللّه بالشرّ

لكن الكتاب الإلهي والعقائد الحقّة تعترف بإله واحد يسيطر على كلّ الأشيـاء بقدرته ويدبّرهـا بإرادته. إنه يسيّطر حتى على الوثنيين، ولكنه يتسامح معهم في صبره؛ كما أنه يسيّطر على الهراطقة ويتحمّلهم بكثرة رأفته ؛ ويسيّطر على الشيطان، ولكنه يصطبر عليه لطول أناته. إنه يتسامح معه لا عن عجز كالمقهور، إذ هو خليقة الربّ الأولى (ايوب٤٠: ١٤) ، وقد صنعه ليكون ألعوبة لا للّه (فهذا لا يليق به)، بل للملائكة الذين خلقهم. وقد حفظه في الكيان لسببين: لكي يكون اكثر خزيّاً عند انهزامه، ولكي يكتسب البشرُ أكاليل النصر. يا لعناية اللّه الحكيمة! إنه يستخدم الإرادة الشرّيرة ليهيّء للمؤمنين سُبُلَ الخلاص. فكما انه استخدم حقد إخوة يوسف لتحقيق غرضه، وسمح بأن يبيعوا أخاهم بدافع الحقد ليقيمه ملكاً عليهم، كذلك سمح للشيطان أن يهاجم (البشر) لكي يُتَوِّج المنتصرون، ولكيما يزداد البشر رِفعةً لانتصارهم على مَن كان يوماً رئيس الملائكة.

٥) ـ لا يفلَت أحد من قدرة اللّه

إذن لا يفلت شيء من قدرة اللّه. لذلك يقول الكتاب: «فكان الكل لأحكامك طائعاً قائماً» (مز١١٨: ٩١). فكلّ الكائنات تخضع له، ولا يستثني من هذه السيطرة الشاملة سوَى ابنه الوحيد وروحه القدوس. فَاللّه إذن يسيّطر على كلّ شيء، وهو يحتمل بطول أناته المجرمين واللصوص والزناة. وقد حدّد وقتاً حين يقتضي على كل انسان أن يؤدي حساباً عن أعماله، لكيما يلقى عقاباً أشَدَّ صرامة اولئك الذين يكونونَ قد انتظروا وقتاً طويلاً بدون أن يتوبوا. هناك ملوك بين البشر يحكمون الأرض، ولكنهم ليسوا بمعزل عن قدرة السماء. وقد اختبر ذلك فيما مضى نبوكدنصّر عندماً قال: «إن سلطانه سلطان ابدي، وملكه يمتدّ الى جميع الأجيال» (دانيال ٤: ٣٢).

٦) ـ الغنَى مُلك اللّه

ألغنَى والذهب والفضّة لا تخص الشيطان، كما يظنّ البعض؛ «لأن غَنَى الارض كلّه هو للمؤمن، أما الكافر فليس له فلس» (ام ٦:١٧) ؛ وهل من كافر مثل الشيطان؟ ويقول الرب بوضوح على لسان النبي: «لي الفضة ولي الذهب أُعطيهما لمن أشاء» (حجاي ٢: ٩). أَحْسنْ إستعمال المال فلا تُلام. ولكن اذا اسأت استعمال ما هو صالح، ولَم تُرد أن تعترف بسوء استخدامك له، فمن الكُفر أن تُلقي باللوم على الخالق. يمكن للإنسان أن يتبرّر بواسطة الخيرات: «جعتُ فأطعمتموني» (متى٢٥: ٣٥) هذا مفعول الخيرات: «كنتُ عرياناً فكسوتموني» (متى٢٥: ٣٦) هذا ما يحقّقه المال. وإذا كنت تريد ان تعرف ان الخيرات بإمكانها ان تفتح ابواب ملكوت السماوات، فاسمع ما يقول الرب (للشاب الغني)، «بعْ ما تملكه وتصدّق بثمنه على الفقراء، فيكون لك كنزٌ في السماء» (متى ١٩: ٢١).

٧) ـ الشيطان لا يَملُك شيئاً

إنّي أقول ذلك بسبب الهراطقة الذين يلعنون الخيرات والأموال والأجساد. إني لا اريدك عبداً للخيرات ، ولكن لا اريد ايضاً ان تحتقر ما اعطاكَ اللّه لمساعدتك. فلا تقل أبداً إن الخيرات هي مُلك الشيطان، حتى إذا قال: «أُعطيكَ كلّ هذه الممالك، فإنها قَد دُفعَت إلَيّ» (لو٤:٦)، ومن السهل دحض هذا الكلام، لأنه صادرٌ عن كاذب. ولكن لعلّه قال الصدق مهابةً بالذي كان يتحدّث إليه، ذلك أنه لم يقل: «أُعطيكَ كل هذا لأنه مُلكٌ لي» ولكن «لأنه دُفعَ اليّ». فهو إذن لم ينسب الملكية الى نفسه بل اعترف أنه المالك العابر والمدبّر المؤقت. ولنترك للمفسّرين البحث فيما اذا كان كذب او صدق.

٨) ـ الهراطقة يجدّفون

يوجد إذن «إله واحد آب ضابط الكل» تجاسَر الهراطقة على إهانته.تجاسروا على إهانة ربِّ الصباؤوت الجالس على الشيروبيم (اشعيا٦:٣ ؛ مز٧٩:٢). لقد تجرأوا على التجديف على الرب ادوناي (يهوديت١٦:١٦). لم يخشوا ان يجدّفوا على الإله القدير الذي اشاد بذكره الأنبياء. أما انت فاعبد الإله الواحد ضابط الكل، أبا ربّنا يسوع المسيح (رومية١٥:٦). أُهرُب من خلال تعدّد الآلهة، واهرب من كل هرطقة. وقُل مع ايوب: «أَتوسّل الى اللّه القدير الذي صنع عظائم لا تُفحص وعجائب مجيدة لا تُحصَى» (ايوب٥:٨-٩). وكذلك: «اللّه متعالٍ بقدرته» (ايوب٣٦:٢٢). له المجد الى ابد الدهور. آمين

تتمة سلسلة المحبّة

توقَّف لمعونتها. وابتسم «جو» فقط بينما كان يُغلق صندوق السيارة الخلفي بعد أن أعاد أدوات إصلاح الإطار.

وسألته السيدة: كم من المال يستحقّه عن هذه الخدمة؟ فأيُّ مقابل يقوله سيكون مستحقاً له. وكانت تُفكّر في المآسي التي كان يمكن أن تحدث لها لو لم يكن قد توقَّف لمساعدتها. ولم يُفكّر «جو» أبداً بشأن المال. فتغيير إطار السيارة ليس هو عمله. الأمر كله لا يتعدّى أنه قدَّم يد المعونة لمَن هو في احتياج إليها. واللّه يعلم ما أكثر الذين مَـدُّوا له يد المعونة من قبل. لقد عاش طيلة حياته بهذه الطريقة، ولم يحدث أبداً في حياته أن تصرَّف بغير هذه الطريقة في معونة الآخرين.

فردَّ عليها بأنها إذا كان ولابد أن تدفع له مقابل معونته، إذن ففي أول فرصة تجد مَن هو محتاج إلى معونتها، فَلْتُعْطه المساعدة التي يحتاجها، وأضاف جو: «ولكن فلتذكريني»، «وَلا تقطعي سلسلة المحبة عن الآخرين».

انتظر «جو» حتى أدارت السيدة مُحرِّك سيارتها وانطلقت. كان يوماً شديد البرودة وكئيباً، ولكنه كان يحس بالسعادة وهو يتوجَّه إلى بيته، مختفياً بسيارته في الغسق الذي كان يُخيِّم على الجوّ.

وبعد أميال قليلة من سيرها على الطريق رأت السيدة العجوز مقهى صغيراً. وتوقَّفت لتدخل إليه لتلتهم أية لقمة طعام تأكلها، لتُبعد عنها الارتجاف من البرد قبل أن تقود السيارة راجعة من رحلَتها نحو بيتها. لقد كان المقهى يبدو مطعماً حقير المظهر. وكان يوجد خارجه مضخات تعمل بالغاز لتضيء المطعم. وكان المنظر كله غير ملائم لها. وكان مكتب دفع الفاتورة يُشبه جهاز تليفون لا يعمل، ولا يُسمَع له رنين. وأتت إليها النادلة القائمة على خدمة الزبائن وهي تحمل منشفة نظيفة لتُجفِّف به شعرها المبتل من رذاذ الجليد. وكانت ابتسامة حلوة ترتسم على وجهها، بالرغم من وقوفها على قدميها طيلة النهار ما لم يمحُ هذه الابتسامة.

ولكن السيدة العجوز لاحظت أن النادلة كانت حاملاً في شهرها الثامن، ولكن الآلام التي تُعانيها والإجهاد الذي تحس به لم يُغيِّر من شكل وجهها المبتسم. وتعجَّبت السيدة العجوز كيف أن مثل هذه السيدة بالرغم من قلة ما تمتلكه، تُعطي الزبون الغريب مثل هذا الكثير من الاهتمام. ثم تذكَّرت «جو».وبعد أن انتهت السيدة العجوز من عشائها، وبينما النادلة قد ذهبت لتُحضر للسيدة باقي ورقة المائة دولار الذي دفعته السيدة، تسلَّلتَ نحو باب المطعم وخرجت مُسرعة. وانصرفت قبل أن تُرجع لها النادلة باقي المائة دولار (٩٧دولاراً).ولما أتت النادلة تعجَّبت أين ذهبت السيدة، لكنها لاحظت وجود ورقة مكتوبة بخط اليد متروكة على مفرش المائدة، فقرأتها. واغرورقت عيناها بالدموع، حينما قرأت ما هو مكتوب في الورقة.

كانت السيدة تقول في رسالتها:– «أنت لست مديونة لي في شيء. لقد انصرفتُ. لقد قدَّم لي واحد يد المَساعدة من قبل بنفس الطريقة التي أُقدِّم لك بها يد المعونة. إن كنت تريدين أن تردِّي لي باقي المبلغ، فإليك ما يمكنك أن تفعليه: لا تتركي سلسلة المحبة أن تنقطع معك» . والآن كان هناك الكثير لتعمله النادلة في هذه الليلة: موائد لتنظيفها، وأوعية السكر لإعادة ملئها، وآخرون لابد أن تخدمهم؛ لكن النادلة فعلت كل ذلك في اليوم التالي.

وفي هذه الليلة، انطلقت سريعاً راجعة إلى بيتها، واستقبلها زوجها، وكانت تُفكِّر في المبلغ الذي تركته لها السيدة وفي كلمات الورقة التي كتبتها. فكيف عرفت السيدة كم من الحاجة المُلحَّة لها ولزوجها لمثل هذا المبلغ من المال؟ فمع المولود المنتظَر مجيئه الشهر القادم، فكم سيكون الأمر صعباً. لقد كانت تعرف كيف كان زوجها قلقاً. وقبَّلت هي زوجها، وهمست في أُذنه بصوت خفيض:– «كل شيء على ما يُرام. إني أحبُّك يا جو»!.

ملحوظة: هذه القصة تحوَّلت إلى أغنية تحت عنوان: Chain of Love مع فيلم تصويري تسجيلي صغير.

العذراء سريعة الإستجابة

في ديرذيوخياريّو في الجبل المقدّس (جبل آثوس)

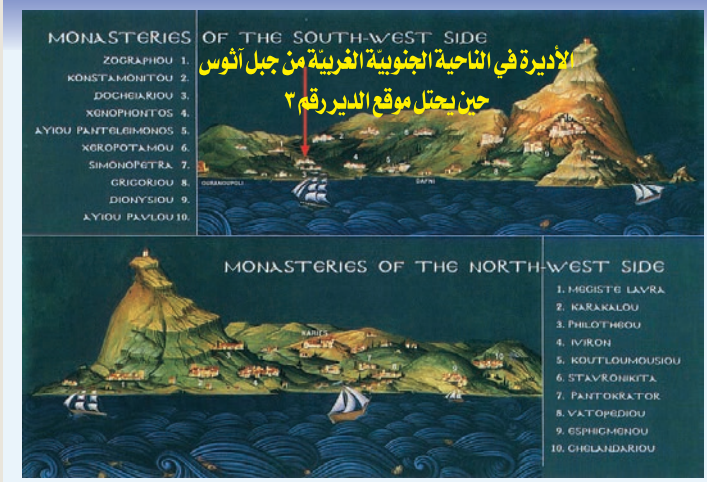

العذراء سريعة الإستجابة هي من الأيقونات العجائبيّة المعروفة لأيقونات العذراء مريم والدة الإله ، إذ توجد هذه الأيقونة في دير ذيوخياريّو في الجبل المقدس (جبل آثوس) الذي يقع على شاطىء الساحل الجنوبي الغربيّ. (أنظر الصورة المرفقة).

وكما يذكر فإنّه من الجانب الأيمن من قاعة الطعام في الدير المقدس ـ حيث يتناول الرهبان طعامهم ـ كانت توجد هناك أيقونة قديمة للعذراء والدة الإله الفائقة القداسة والدائمة البتولية مريم ؛ وكما يذكر آباء الدير ، فإنها قد كُتبَت على عهد القديس نيوفيتس مؤسس الدير المقدس دير ديوخياريّو في القرن الحادي عشر.

إن عام ١٦٤٦م ، كان عاماً صعباً جداً على الدير المقدس ، حيث لم يتوفّر المال المطلوب لدفع الضرائب المحدّدة للأتراك المستبدين في إستعمارهم الغاشم، فخضع الدير لنظام تقشّف للخروج من هذا المأزق الحرج، الأمر الذي انعكس على الدير ومصروفاته سلبياً ، وضمن هذا الوضع المحرج ، كان أحد رهبان الدير الذي يخدم المائدة وبحكم عمله ، يحمل مشعلاً متقدّاً يسير فيه بين جنبات القاعة ، مروراً حيث الأيقونة العجائبيّة التي نحن بصددها، فكان الدخان الأسود يتصاعد من المشعل ويلامس أيقونة والدة الإله بدخانه الأسود الكثيف ، ومع مرور الوقت تراكم **اللون الأسود** على الأيقونة.

وفي إحدى الليالي وفيما الراهب يجول كعادته بجانب أيقونة والدة الإله والمشعل في يده، سَمِعَ صوتاً يصدر من الأيقونة منبّهاً إياهُ وقائلاً: « حذاري ، لا تقتربنَّ فيما بعد إلى هنا بمشعلكَ ولا تُسَوِّد أيقونتي بدخانك».

إعتقد الراهب بأن أحداً من الرهبان هو الذي يتحدّث معه ، فلم يُعِر انتباهاً لهذا الصوت.

وبعد أيام عدّة ، وفيما الراهب يسير بقرب الأيقونة كعادته ، والمشعل المتّقد بيده ، سَمِعَ مجدّداً صوتاً يقول له: «يا لكَ من راهب ، غير مستحق لهذا اللقب، إلى متى ستستمرّ في المرور مُسَوِّداً أيقونتي بدخان مشعلكَ بلا مبالاة». ومع الصوت فقَدَ ذلك الشقيّ نور عينيه وأمسى ضريراً. وهكذا أدركَ الراهب خطأه ؛ أي أنّه ازدرى الصوت الأوّل ولم يُطعهُ.

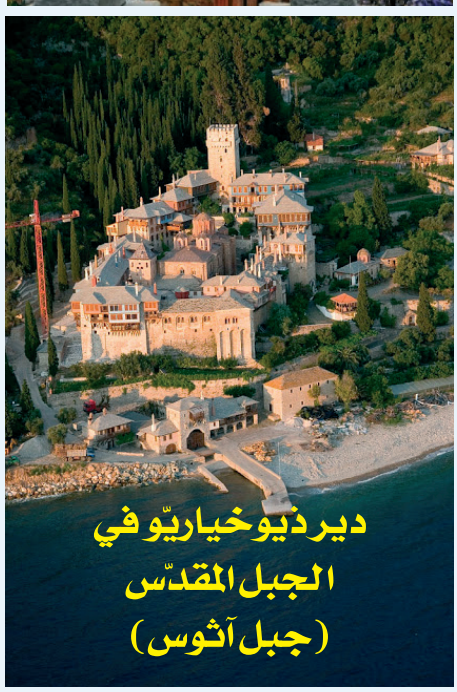

عندها أنشأ هذا الراهب مقعداً أمام أيقونة والدة الإله متعطفاً إليها بإلحاح أن تغفر له خطيئة عدم إنتباهه واكتراثه ، وأن تمنحه ضياء عينيه مجدّداً ، حتى يستطيع أن يعاين ويبصر ثانية أيقونتها الشريفة ، شاكراً وممجّداً إيّاها على الدوام. فأصغت العذراء والدة الإله إلى صوت الراهب وتضرعاته التي أصعدها بلجاجة قائلة: ﴿«ها أنا أمنحك النور مجدّداً ، فانتبه ألا تَمّر بموقدك المشتعل ثانية أمام أيقونتي، لأني أنا سيّدة هذا الدير المقدس ، وسأكون سريعةً في تحقيق طلبات جميع المستغيثين بي لأجل خلاصهم» لأني «**سريعة الإستجابة أدعى**»﴾.